الفصل الأول

الطرائق اللغوية

(١) : صيغ المبالغة .

(٢) : أدوات المبالغة .

(٣) : طرائق أخرى للمبالغة .

obeikandl.com

(١) صيغ المبالغة .

قد يحول اسم الفاعل إلى صيغ للدلالة على الكثرة والزيادة في الحدث قصـدًا لتقويته وتأكيده .ولهذه الصيغ أوزان'' خمسة'' مشهورة [١] تسمى صيغ المبالغة هي :

١- فَعَّال نحو : رزَّاق ــ عَلَّام ــ غـفَّار ــ حَلَّاف .

٢- مِفعال نحو : مِقدام ــ مِئكال ــ مِكرام ــ مِفضال .

٣- فَعول نحو : صبور ــ شكور ــ عجول ــ هلوع .

٤- فَعيل نحو : حليم ــ خبير ــ كظيم ــ خصيم .

٥- فَعِل نحو : فَطِن ــ حَذِر ــ يَقِظ ــ لَبِـق.

وممـا تجـدر الإشارة إليه أن هذه الصيغ جميعها وردت لها أمثلة في القـرآن الكريم عدا الصيغة الأخيرة '' فَعِل '' فلم يرد لها أمثلة في كتاب الله .

وهناك صيغ أخرى للمبالغة سماعية [٢] منها :

١- فُعَّال نحو : كُبَّار .

٢- فِعِّيل نحو : صِدِّيق ــ قِسِّيسين .

٣- فُعَلة نحو : حُطَمة ــ هُمَزة ــ لُمَزة .

٤- فُعُّول نحو : قُدُّوس .

---

(١) انظـر همع الهوامع لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ ــ تحقيق أحمد شمس الدين ط الأولى ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٨م وانظر شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن علي بين يعيش النحوي ــ مكتبة المتنبي ٣ / ٥٩

(٢) يـرى بعض العلماء المحدثين مثل د . عبده الراجحي أن هذه الأوزان السماعية ينبغي أن تُحوّل إلى قياسـية للحاجة اللغوية في عصرنا الحديث ــ انظر التطبيق الصرفي للدكتور عبده الراجحي ــ دار النهضة العربية للطباعة والنشر ــ بيروت ــ ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م /٧٨

٥- فُعَلّ نحو : عُتُلّ .

٦- فَيْعول نحو : قَيُّوم .

٧- فَاعول نحو : فاروق [١]

٨- مِفعيل نحو : مِعطير [٢]

٩- فُعّيل نحو : دُرِّيء .

وحـــريٌّ أن ألفت الأنظار إلى أن هذه الصيغ السماعية أولاً : وردت كلهـــا في القرآن الكريم عدا الصيغتين : (فَاعول) ، (مِفعيل) فلم يردا في كتاب الله .

ثانـــيًا : هـــذه الصيغ السماعية وردت قليلة في اللغة ، وكذلك كان ورودها في القرآن ، ففي الوقت الذي يمكن إحصاء أكثر من مئة مثال للصيغ القياسية المشهورة ، لا نجد في القرآن للصيغ السماعية أكثر من عشرة أمثلة هي المذكورة في أعلى كل صيغة .

---

(١) لم ترد لهذه الصيغة أمثلة'' في القرآن الكريم .

(٢) لـــم تـــرد ــ أيضًا ــ لهذه الصيغة أمثلة'' في القرآن الكريم سوى نموذج واحد ساقه د . محمد عبد الخـــالق عضـــيمة وهو كلمة '' مِسكين '' ولم أجد فيم بين يدي من مصادر لغوية وكتب تفسير من تابعه في هذا . انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم ــ تأليف د . محمد عبد الخالق عضيمة ــ دار الحديث ــ القـــاهرة ١٧/٧ .

obeikandi.com

أولاً : الصيغ القياسية المشهورة

وردت من هذه الصيغ الخمس القياسية ــ كما أشرت آنفًا ــ أربعة فقط في القرآن الكريم هي ــ وفقًا لترتيب كثرة نماذجها ورودًا فيه :

١- فَعَّال : وردت أربعين مرةً (١) .

٢- فَعِيل : وردت تسعًا وثلاثين مرةً .

٣- فَعُول : وردت تسعًا وعشرين مرةً .

٤- مِفْعَال : وردت مرتين فقط .

وإذا بدا هذا الترتيب ــ منطقيًا ــ متسقًا مع كثرة الورود في القرآن فقد بات مُحيِّرًا كيف يمكن دراسة أمثلة كل صيغة ؟ وعلى أي نحوٍ يمكن إستيعاب نماذجها وتحليل أمثلتها ؟ .

هل تُرتَّب ترتيبًا هجائيًا أم تُرتَّب كما وردت حسب ترتيب سور القرآن في المصحف ؟ أم لا هذا ولا ذاك وإنما ترتب تبعًا لمقتضى الموضوعات ؟ والحق أن هذا الترتيب الأخير ألصق بموضوع البحث ، وأنجع في إبراز الجوانب البلاغية ، وكشف مناحي المبالغة في كل الموضوعات المندرجة تحت كل صيغة ، وهذا الذي ارتضيتُ منهجًا للدراسة ، ومسلكًا لتقسيم الصيغ ، ثم من تتمة الدراسة ألحقت كل صيغة بملاحظات ودلالات تُلقي بظلالها على فنية البنية لعل من المفيد ذكرها للوصول إلى الغاية الجمالية المُبتغاة من وراء دراسة الصيغة .

---

(١) دون احتساب تكرار اللفظة أو جمعها ــ ارجع للمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الحديث ــ القاهرة ١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠١م .

obeikandl.com

(١) صيغة فَعَّال

وردت لنماذج هذه الصيغة دلالات متعددة ، ومعانٍ شتَّى ربما تناقضت أحيانًا كوصف المؤمنين ووصف الكافرين ، وربما اتفقت في أحايين أخرى كوصف الخائنين ، والنمَّامين ، والمنَّاعين للخير والنفَّاثات السواحر ، هذا إضافة إلى أوصاف أخرى مثل وصف الشيطان بالخنَّاس ، ووصف النار بالنزاعَّة ، واللوّاحة .

ولاريب أن أسماء الله وصفاته هي أعظم ما احتوته هذه الصيغ ، ومن هنا رأيت أن أُصدِّر كل صيغة بأسماء الله وصفاته المندرجة تحت كل صيغة ودلالات المبالغة فيها ثم أذكر سائر الأوصاف مع دلالاتها .

هذه الصيغة يمكن دراسة نماذجها كالآتي :

١- ما ورد منها اسمًا أو صفة لله – عز وجل .

٢- ما ورد منها وصفاً للأنبياء .

٣- ما ورد منها وصفًا للمؤمنين .

٤- ما ورد منها وصفًا للجنة .

٥- ما ورد منها وصفًا للنفس .

٦- ما ورد منها وصفًا لليهود .

٧- ما ورد منها وصفًا للعصاة والكافرين .

٨- ما ورد منها وصفًا للجن والشياطين .

٩- ما ورد منها وصفًا للنار وأهلها .

١٠- ما ورد منها لمعانٍ شتَّى .

openkandil.com

سيكتفى في كل نقطة من هذه النقاط العشر ببعض الأمثلة ؛ لأن الغرض هو إظهار نكات المبالغة وفنيات العدول عن اسم الفاعل إلى هذه الصيغة ذات التكثيف الدلاليّ والتكثير المراد بروزه في السياق من خلال هذه البنية .

١ – ما ورد منها اسمًا أو صفة لله عز وجل

ورد من أسماء الله – تعالى – وصفاته في هذه الصيغة " فعَّال "عشرة أسماء هي (١) : التواب (٢) – الجبَّار (٣) – الخلَّاق (٤) – الرزَّاق (٥) – علَّام الغيوب (٦) – الغفَّار (٧) – الفتَّاح (٨) – فعَّال (٩) – القهار (١٠) – الوهاب (١١) .

---

(١) وفقًا للترتيب الهجائي .

(٢) ورد هذا الاسم إحدى عشرة مرة كالآتي : " التوَّاب الرحيم " ٦ مرات هي : في البقرة/ ٣٧ ، ٥٤ ، ١٢٨ ، ١٦٠ ، والتوبة/ ١٠٤ ، ١١٨ و " تواب" حكيم " مرة واحدة في النور/ ١٠ ، و " توَّاب" رحيم " مرة واحدة في الحجرات/ ١٢ و " توابًا رحيمًا " مرتين في النساء/ ١٦ ، ٦٤ و " توابًا " مرة واحدة في النصر/ ٣ .

(٣) ورد هذا الاسم مرة واحدة في سورة الحشر الآية/ ٢٣ ، وسائر الأمثلة وردت في غير اسم الله " جبَّار " و " جبَّارين " تسع مرات هي : في المائدة/ ٢٢ ، هود/ ٥٩ ، ابراهيم/ ١٥ ، في مريم/ ١٤ ، ٣٢ ، الشعراء/ ١٣٠ ، القصص/ ١٩ ، غافر/ ٣٥ ، في ق~/ ٤٥ .

(٤) ورد هذا الاسم مرتين هما : في الحجر/ ٨٦ ، يس~/ ٨١ وقد جاء في المرتين مقترنًا باسمه " العليم " .

(٥) ورد هذا الاسم مرَّة واحدة في قوله تعالى : ﴿ إن الله هو الرزَّاق ذو القوة المتين ﴾ الذاريات/ ٥٨ .

(٦) وردت هذه الصفة أربع مرات : في المائدة/ ١٠٩ ، ١١٦ والتوبة/ ٧٨ وسبأ/ ٤٨ .

(٧) ورد هذا الاسم بلفظ " غفار " أربع مرات : في طه/ ٨٢ ، ص~/ ٦٦ ، الزمر/ ٥ وغافر/ ٤٢ ، ومرة واحدة بلفظ " غفارًا " في سورة نوح/ ١٠ .

(٨) ورد هذا الاسم مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم ﴾ سبأ /٢٦ .

(٩) وردت هذه الصفة مرتين : الأولى : قوله تعالى : ﴿ إن ربك فعَّال" لما يريد ﴾ هود /١٠٧ ، والأخرى ﴿ ذو العرش المجيد فعَّال لما يريد ﴾ البروج /١٦ .

(١٠) ورد هذا الاسم ست مرات : يوسف/ ٣٩ ، والرعد/ ١٦ ، وابراهيم/ ٤٨ ، وص~/ ٦٥ ، والزمر/ ٤ وغافر/ ١٦ .

(١١) ورد هذا الاسم ثلاث مرات : في قوله تعالي : ﴿ وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ آل عمران/ ٨ و في ص~ هما : الأول : قوله تعالى : ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ﴾ ص~/ ٩ والآخر : قوله تعالى : ﴿ وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدي إنك أن الوهَّاب ﴾ ص~ /٣٥ .

أثر المبالغة في بعض هذه الأسماء

أولاً : اسم الله " التوّاب " .

اتفقت كلمة العلماء ألا يوصف الله عز وجل ــ باسم الفاعل منه كما قال أبو حيَّان " وأجمعوا أنه لا يوصف تعالى بتائب ولا آيب .... " (١)

والصيغة للمبالغة وفي هذا ترغيب من الله تعالى في التوبة والرجوع إلى الطاعة والاستقامة ، وطمع'' في عفوه تعالى وإحسانه .

ولما كان الإنسان كثير الزلل ، دائم العِثار ، لا ينفكُّ عن اللَّمم ناسب ذلك ــ على سبيل التفضل من المنان ــ أن يقابل هذا الإكثار من الذنوب بالإكثار من توبته على عبادهِ ومن هنا فقد حوى هذا الاسم من الفيوضات الربانية الكثير منها :

كثرة القبول لتوبة العبد ، أو كثرة الإعانة عليها (٢) سواء صدرت التوبة من أفراد كثيرين أو تكرر من شخص واحد فهو سبحانه المُغدِق بإحسانه على الجميع وعلى الفرد مهما تعددت الزلاّت مادام قد رجع وأناب .

وغنيٌّ عن البيان أن أُذكّر بأن التوبة من الله على العبد هي العطف والتفضل عليه كما قال تعالى : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ (٣) ، ومن العبد هي الرجوع والإنابة إلى طاعته ــ تعالى ــ لطلب ثواب أو خشية عقاب أو رفع درجات كقوله سبحانه : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعًا أيه المؤمنون لعلكم تُفلحون ﴾ (٤)

ومن معاني اسم الله " التواب " (الملهم التوبة وهو كناية عن قبول توبة التائب) (٥) .

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ــ تحقيق د. عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ــ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٩٩٣م ١ / ٣٢٠ .

(٢) انظر البحر المحيط ١ / ٣٢٠ .

(٣) سورة البقرة /٣٧ .

(٤) سورة النور/ ٣١ .

(٥) التحرير والتوير ــ تأليف محمد الطاهر بن عاشور ــ دار سحنون للنشر والتوزيع ــ تونس ١ / ٤٣٩

كمـــا في قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدمُ من رَبِّه كلماتٍ فَتَابَ عليه إنَّه هو التوابُ الرحيمُ ﴾ (١)

وكثيرًا ما اقترن هذا الاسم باسم الله " الرحيم " فما العلة في ذلك ؟ قال أبو حيان : (لأن قبول التوبة سببه رحمة الله لعبده) (٢) .

وقـــال ابن عاشور : (لأن الرحيم جارٍ مجرى العلة للتواب ؛ إذ قبوله الـــتوبة عن عباده ضرب'' من الرحمة بهم وإلا لكانت التوبة لا تقتضي إلا نفع التائب نفسه بعدم العود للذنب حتى تترتب عليه الآثام وأما الإثم المترتب فكـــان من العدل أن يتحقق عقابه لكن الرحمة سبقت العـــــدل ... بوعدٍ من الله) (٣) .

وقـــال أبـــو السعود : (وفي الجمع بين الوصفين وعد'' بليغ للتائب بالإحسان مع العفوّ والغفران) (٤) .

فـــلا غـــنى للتائب عن رحمة " الرحيم " بحال ؛ إذ بهذه الرحمةِ تُقبل التوبة ويُغفر الذنب ويُجبر الكسر ، وقد يُبدِّل الله ــ بإحسانه ــ السيئة الحسنة ومهمـــا كـــثرت ذنوب العبد ، فإن الله ــ برحمته ــ يغفرها ولو بلغت عنان الســـماء وجـــاء الإسمان بهذه البنية " بنية المبالغة " للإشعار بمدى التفضل واللُّطف بالخلق كما قال نبي الله يوسف : ﴿ ذَلِك فَضْلُ اللَّه علينا وعلى النَّاسِ وَلكِنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَشْكُرون ﴾ (٥)

---

(١) سورة البقرة / ٣٧ .

(٢) البحر المحيط ١ / ٣٢٠ .

(٣) التحرير والتنوير ١ / ٤٣٩ .

(٤) تفسير أبى السعود للقاضي أبي السعود العماديّ ــ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط الثانية ١٩٩٠م ١ / ٩٢ وانظر كذلك تفسير البيضاوي ١ / ٥٥ .

(٥) سورة يوسف / ٣٨ .

ثانيًا : اسم الله " الرزَّاق "

الصيغة **للمبالغة** للدلالة على كثرة الإرزاق وهو مايعمُّ المال والإطعام [١] حيث تدل على سعة الرزق ، وكثرة من يرزقه الله تعالى من الخلق ، فلك أن تتصور مدى تناهي عظمة الله في إعاشة المخلوقات وبسط خيره عليهم مهما دقَّت أماكنهم ، وغارت مساكنهم ، هذا البسط وتلك السعة ناشئان عن غنى الله المطلق .

وفي هذا الاسم ــ أيضًا ــ إشارة إلى أنه إذا كان الله هو الرزَّاق بهذا التفضل وهذا الإحسان فمن الواجب الاعتماد ليه وحده وليس على أحد سواه .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الرزق نوعان : ظاهر '' للابدان في الأقوات والأطعمة وباطن'' للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم [٢]

ثالثًا : اسم الله " القهَّار "

القهَّار : هو (الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره) [٣] واللافت أن المواضع الستة الواردة لهذا الاسم في القرآن الكريم كلها اقترنت باسمه " الواحد " ، فجاءت كلها " الواحد القهَّار " وذلك دلالة على أن الذي يملك في هذا الكون القهْر والغلبة إنما هو إله'' واحد'' وهو الله العليَّ المُتعال .

قال ابن منظور : " القهْر : الغلبة والأخذ من فوْق . والقهَّار : من صفات الله ــ عز وجل ــ قال الأزهريَ : والله القاهر القهَّار قهر خلقه بسلطانه وقدرته وصرَّفهم على ما أراد طوعًا وكَرْهًا ؛ والقهَّار **للمبالغة** . وقال ابن الأثير : القاهر هو الغالب جميع الخلق" [٤] وبنية " المبالغة " في هذا الاسم لها دلالة بيِّنة على إثبات القهر المطلق لله عز وجل ، وخضوع الخلق جميعهم وَفق مشيئته ، وحكمته طوعًا أو كرهًا فسبحان من خضعت له رقاب الجبابرة !

---

(١) التحرير والتنوير مجلد ١٣ ٢٧ / ٢٩

(٢) النظر لسان العرب لابن منظور مادة (ر . ز . ق) .

(٣) البيضاوي ١ / ٤٨٤

(٤) لسان العرب مادة (ق . هـ . ر) .

رابعًا : اسم الله " الوهَّاب "

من معاني هذا الاسم أنه يعطي النوال والرِّفد قبل السؤال (١)

ومن معانيه : أنه يعطي كل مخلوق على قدر استحقاقه (٢)

كذلك أنه ــ سبحانه ــ المتفضل وحده بما ينعم به على عباده من غير أن يجب عليه شيء قال الخطابي : " لا يستحق أن يُسمَّى وهَّابًا إلا من تصرفت مواهبه في أنواع العطاء ، فكَثُرت نوافله ودامت ، والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالاً ونوالاً في حالٍ دون حال ، ولا يملكون أن يهبوا شفاءً لسقيم ولا ولدًا لعقيم ، ولا هدىً لضال ولا عافية لذي بلاء . والله ــ سبحانه ــ يملك جميع ذلك ومع الخلق جوده ورحمته ، فدامت مواهبه واتصلت مننه وعوائده " (٣)

ومن فيوضات هذا الاسم ــ أيضًا ــ أنه يمنح عطاياه للخلق بلا أعواض أو أغراض فما من مخلوقٍ يُعطيِ عطاءً إلا وهو يأمل غرضًا أو عرضًا أو عِوضًا إلا الغني ــ سبحانه ــ قال عز من قائل : ﴿ يَأَيُّها النَّاس أنتمُ الفقراءُ إلى اللَّه واللَّه هو الغنيّ الحميدُ ﴾ (٤)

هذا الاسم ورد في القرآن ثلاث مرات ، منه مرتان في سياق " إنك أنت الوهَّاب " يقول ابن عاشور عن هذا السياق (القصر في قوله " إنك أنت الوهَّاب " **للمبالغة** ؛ لأجل كمال الصفة فيه ــ تعالى ؛ لأن هبات الناس بالنسبة لما أفاض الله من الخيرات شيء لا يعبأ به وفي هذه الجملة تأكيد بإن ، وبالجملة الاسمية وبطريق القصر) (٥)

---

(١) انظر الصاوي على الجلالين ــ دار إحياء الكتب العربية ــ عيسى الحلبي وشركاه ١ / ٢١٥

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ــ تحقيق صفوان عدنان داوودي دار القلم ــ دمشق ، الدار الشامية ــ بيروت ط الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م / ٨٨٤

(٣) القول الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ــ تأليف مجدي منصور الشورى مكتبة العلم ــ القاهرة ١٩٩٩م / ٤٦٦

(٤) فاطر / ١٥

(٥) التحرير والتنوير ٣ / ١٧١

openkanz.com

٢ ـ ما ورد منها وصفًا للأنبياء

ورد من صيغة "فَعَّال" ـ وصفًا للأنبياء ـ مثالان : هما : أوَّاب ـ أوَّاه .

أولاً : أوَّاب

ورد هذا اللفظ بصيغة المفرد في القرآن خمس مرات ، أربع منها في سورة ص~ (١) وموضع واحد في سورة قَ~ (٢)

وورد لفظ واحد بصيغة الجمع في سورة الإسراء (٣)

ومن عجيب أن ظاهر اللفظ متعلق بالذنب ، ولا يعدو أن يكون الأوَّابُ إلا رجلاً كثيرَ الذنوب ، بَيْد أنه انماز بخصلة رائعة هي أنه كلما أذنب ذنبًا لا يستغرق فيه ولا يتمادى ؛ بل يَقصر ويُسرع الرجوع والإنابة إلى الله ، فالأوَّاب هو الرجّاع عن المعصية بعد مخالطتها إلى الطاعة والاستقامة وهذا ما اتفق عليه جُلّ المفسرين (٤) ولكن ما قاله ابن منظور : (وأوّاب : كثير الرجوع إلى الله ـ عز وجل من ذنبه) .

---

(١) ١- ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أوَّاب ﴾ ص~ /١٧

٢- ﴿ والطير محشورة كل له أوَّاب ﴾ ص~/ ١٩

٣- ﴿ ووهبنا لداود سليمان نِعم العبد إنه أوَّاب ﴾ ص~/ ٣٠

٤- ﴿ إنا وجدناه صابرًا نِعم العبد إنه أوَّاب ﴾ ص~/ ٤

(٢) ﴿ هذا ما توعدون لكل أوَّاب حفيظ ﴾ قَ~/ ٣٢

(٣) ﴿ فإنه كان للأوَّابين غفورًا ﴾ الإسراء/ ٢٥

(٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني /٩٧ ، والتسهيل لابن جزي الكلبي ـ دار الكتاب العربي ط الرابعة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م ٢ / ١٧٠ ، والبيضاوي ١ / ٥٦٨ ، وأبا السعود ٥ /١٦٧ ، والصاوي على الجلالين ٣ / ٢٩٦ والكشاف للزمخشري ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ٣ /٣١٩ ، والتحرير والتنوير مجلد ١١ ٢٣ / ٢٢٧ .

obeikandl.com

والأوبـــة : الـــرجوع كالتوبة ، والأوَّاب : التائب . قال أبو بكر : في قولهـــم رجل'' أوَّاب سبعة أقوال : قال قوم : الأوَّاب : الراحم وقال قوم'' : الأوَّاب التائب ، وقال سعيد بن جُبير : الأوَّاب المُسبِّح ، وقال ابن المسيب : الأوَّاب : الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب وقال قتادة : الأوَّاب : المطيع ، وقال عُبَـــيْد بن عُمَيْر : الأوَّاب : الذي يذكر ذنبه في الخلاء ، فيستغفر الله منه ، وقال أهل اللغة الأوَّاب الرجَّاع الذي يرجع إلى التوبة والطاعة من آب يؤوب إذا رجع. قال الله تعالى : ﴿ لكل أوَّاب حفيظ ﴾ (١)

يكشـــف لـــنا جلـــية الأمـــر ؛ إذ اللفظ عند المفسرين وقف عند حدود الرجوع عن المعصية ، ولا يعدو هذا التفسير إلا أن يكون وجهًا من الوجوه المتعددة التي نقلها " ابن منظور " للفظ ، إذ كيف ينسجم هذا مع دأب الأنبياء وهم معصومون ؟!

فمـــن معانيه الأخرى " المُسبِّح " و " المطيع " ، وهذا هو الأليق بهدي الأنبـــياء ، كما أن الأنبياء المقصودين بهذا الوصف في الآيات ثلاثة'' هم : داود وسليمان وأيوب فأي ذنوب ٍ متكررة فعلها هؤلاء ؟ (٢)

بيـــنما يمكـــن إجراء كل الأوجه بعد ذلك ـــ دون حرج ـــ إذا ُوصف بـــاللفظ المؤمنون كما في قوله تعالى : ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أوَّاب حفيظ ﴾ (٣) وكما جاء في صورة الجمع ﴿ فإنَّه كان للأوَّابين غَفُورًا ﴾ (٤)

---

(١) لسان العرب مادة (أ . و . ب) .

(٢) اللهم إلا بعض التصرفات التي لامها القرآن على الأولين ، فنبي الله داود يتسرع في الحكم بين الخصمين ويستشعر من نفسه أنه قد أخطأ كما قال تعالى : ﴿ وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخرَّ راكعًا وأناب * فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ ص~/ ٢٤ ، ٢٥ .
وسليمان مرة تشغله الخيلُ عن الذكر كما قال تعالى : ﴿ فقال إني أحببت ُحبَّ الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب * ردوها عليَّ فطفق مسحًا بالسوق والأعناق ﴾ ص~/ ٣٢ ، ٣٣ .
وأخرى عند ما قال : ﴿ لأطوفن الليلةعلى سبعين امرأة ... أو مائة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل : إن شاء الله .... الحديث رواة البخاري ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا ثم أناب * قال رب اغفر لي وهب لي ُملكًـا لا ينبغي لأحدٍ من بعدي إنك أنت الوَّهاب ﴾ ص~/ ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) ق ~/ ٣٢ .

(٤) الإسراء/ ٢٥ .

ثانيًا : أوَّاه :

ورد هذا اللفظ بهذه الصيغة المفردة مرتين (١)

والأوَّاه **مبالغة** من التأوه أي الذي يُكثر من التأوَّه والتوجع وكذلك يُكثر من قول : آه أو أوَّه (٢) إظهارًا لخشية الله تعالى وتضرعًا وتذللاً له ، كما يشير اللفظ بهذه الصيغة إلى فرط الرحمة والرأفة وتناهي رقة القلب .

قال ابن منظور : (رجل'' أوَّاه : كثير الحزن ، وقيل : هو الدَّعَّاء إلى الخير ، وقيل : المؤمن بلغة الحبشة ، وقيل : الرحيم الرقيق .... وقيل : الأوَّاه هنا المتأوه شفقًا وفرقًا ، وقيل : المتضرع يقينًا أي إيقانًا بالإجابة ولزومًا للطاعة ، هذا قول الزجاج ، وقيل : الأوَّاه المُسبِّح وقيل هو **الكثير** الثناء . ويقال : الأوَّاه : الدَّعَّاء . وروي عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : ..... " اللهم اجعلني مخبتًا أوَّاهًا مُنيبًا ؛ الأوَّاه المتأوه المُتضرِّع " (٣)

واللفظ كما هو ظاهر '' متشعبُ المناقب ، متعدد الخلال الكريمة ، والنبي الوحيد الذي اتصف بهذا الوصف هو نبي الله إبراهيم ــ عليه السلام ــ ولا حرج فقد كان يعدل بإيمانه خصال أمة مجتمعة قال عز من قائل : ﴿ إِنَّ إبراهيمَ كان أمةً قانتًا لِلَّه حنيفًا وَلَمْ يكُ من المُشْركين ﴾ (٤)

٣ – ما ورد منها وصفًا للمؤمنين

ورد من صيغة " فعّال " ــ وصفًا للمؤمنين ــ لفظ واحد هو " صبَّار " وتكرَّر في القرآن أربع مرات (٥) .

---

(١) الأولى ﴿ إن إبراهيم لأواه'' حليم ﴾ التوبة/ ١١٤ والأخرى ﴿ إن إبراهيم لحليم'' أوَّاه'' مُنيب ﴾ هود/ ٧٥ .

(٢) انظر التسهيل ٢ / ٨٦ ، والبيضاوي ١ / ٤٢٣ ، وأبا السعود ٤ / ١٠٨ والصاوي على الجلالين ٢ / ١٤٦ ، والكشاف ٢ / ١٧٤ ، والتحرير والتنوير مجلد ٦ ١١ / ٤٦ ، المفردات /١٠١ .

(٣) لسان العرب مادة (أ . و . هـ) .

(٤) النحل/ ١٢٠ .

(٥) هي : قوله تعالى : ﴿ وذكّرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبَّار شكور ﴾ إبراهيم/ ٥ وقوله : ﴿ ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبَّار شكور ﴾ لقمان/ ٣١ وقوله : ﴿ ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآياتٍ لكل صبَّار شكور ﴾ سبأ/ ١٩ وقوله : ﴿ فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبَّار شكور ﴾ الشورى / ٣٣ .

والصيغة **للمبالغة** وهي تعني كثير الصبر على طاعة الله وعن معاصيه [١]

ومما ينبغي الالتفات إليه أن لفظ " صبَّار " ليس من أسماء الله تعالى ؛ لأن أسماء الله توقيفية وإنما الذي في أسماء الله " الصبور " ولم يرد في كتاب الله ، وإنما ورد في الحديث الصحيح في قوله ــ صلى الله عليه وسلم : " لا أحد أصبر من الله " [٢] ، قال ابن منظور : (في أسماء الله تعالى : الصبور تعالى وتقدَّس ، هو الذي لا يعاجلُ العصاة بالانتقام ، وهو من أبنية **المبالغة**) [٣] .

وقال " الراغب الأصفهاني " في الفرق بين " الصبور " و" الصبَّار " :

(الصبور : القادر على الصبر ، والصبَّار : يقالُ إذا كان فيه ضرب'' من التكلف والمجاهدة) [٤]

والملاحظ على الصيغة أنها اقترنت في المواضع الأربعة بلفظ آخر هو " شكور " وهو أيضًا **للمبالغة** إيذان'' بأن المؤمن لكي يبلغ درجة الاتعاظ والانتفاع بالآيات عليه أن يُكثر من الصبر والشكر [٥]

٤ – ما ورد منها وصفًا للجنة

ورد من صيغة " فَعَال " ــ وصفًا للجنة ــ لفظ واحد هو " نضاختان " وجاء ذكره في القرآن ــ أيضًا ــ مرة واحدة [٦] .

واللفظ وصف'' لعينين في الجنة ، وهو بهذه البنية الدالة على الكثرة يُثري جانب التصور المطلوب لتناهي الجمال الرباني المُعَدّ في الجنة ، كما يمنح المتلقي دلالاتٍ متعددة ، فمع هذه الوفرة والفورة للصيغة إلا أن السياق القرآني لم يُشِرْ في أي شيء تم هذا النضخ ؟ هل هو نضخ للماء

---

(١) انظر تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ القرطبي ، دار الغد العربيّ ، القاهرة ٥ / ٣٦٧٩ وانظر الصاوي على الجلالين ٢ / ٢٣٦ .

(٢) متفق عليه .

(٣) لسان العرب مادة (ص . ب . ر) .

(٤) المفردات / ٤٧٤ .

(٥) انظر البحر المحيط ٥ / ٣٩٥ ، وانظر الصاوي على الجلالين ٢ / ٢٣٦ .

(٦) في قوله تعالى : ﴿ فيهما عينان نضَّختان ﴾ الرحمن/ ٦٦ .

أم للمسك أم للخير والبركة ومن هنا اختلف توجه المفسرين للفظ واللفظ في القرآن من إعجازه أنه " حمَّال أوجه " وإليك بعض هذه الوجوه التي ذهب إليها المفسرون :

الأول : نضاختان أي فوَّارتان بالماء والنضخ بالخاء المعجمة أقوى من النضح بالحاء المهملة الذي هو الرش (١).

الثاني : مع كونهما فوَّارتين تجيشان بالماء تكاثرًا فهما لا ينقطعان (٢). بخلاف عيون الدنيا إذ سرعان ما يصيبها النضب والغَوْر .

الثالث : قال القرطبي ((عن أنس : تنضخ على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور في دور أهل الجنة كما ينضخ رش المطر . وقال سعيد بن جبير : بأنواع الفواكه والماء . الترمذي : قالوا بأنواع الفواكه والنعم والجواري المزينات والدواب المسرجات والثياب الملونات)) (٣).

٥ – ما ورد منها وصفًا للنفس (٤)

ورد من صيغة "فَعّال " – وصفًا للنفس – لفظان(٥) هما :

الأول : أمَّارة . وجاء في القرآن مرة واحدة (٦).

والنفس " الأمَّارة " كثيرة الأمر والميل إلى الشهوات (٧).

و (النفس هنا للجنس ، والنفوس ثلاثة أنواع : أمَّارة بالسوء ، ولوَّامة وهي التي تلوم صاحبها ، ومطمئنة) (٨).

---

(١) انظر التحرير والتنوير مجلد ١٣ ٢٧ / ٢٧٢
(٢) انظر الصاوي على الجلالين ٤ / ١٣٤ .
(٣) القرطبي ٩ / ٦٥٨٥ .
(٤) سيفرد لها – إن شاء الله – مبحث خاص في الفصل الرابع .
(٥) ثمَّ لفظ آخر هو " منَّاع " في قوله تعالى : " منَّاع للخير " ق-/٢٥ ، بَيْد أنه من الأوضح أن يدرس المنع وصفًا للنفس في " منوع " في صيغة "فَعول " في قوله تعالى: " وإذا مسه الخير كان منوعًا " العاديات/٦ ، ولأن " منَّاع " خاص في الوليد بن المغيرة و " منوع " وصف عام انظر الفصل الرابع مبحث النفس البشرية .
(٦) في قوله تعالى : ﴿ إن النفسَ لأمَّارةٌ بالسوءِ ﴾ يوسف/ ٥٣ .
(٧) انظر الصاوي على الجلالين ٢ / ٢٠٩ ، وأبا السعود ٤ / ٢٨٥
(٨) التسهيل ٢ / ١٢٢

واللفظ الآخر : اللوّامة : جاء في القرآن كذلك مرة واحدة هي قوله تعالى : ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (١)

والنفس اللوّامة هي التي " لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان " (٢) ومن هنا فهي التي يتكرر عتابها ولومها لنفس المؤمن ، وكأن الصيغة تضفي على اللفظ معنى التكرار والملازمة للوّم والعتاب والزجر قال القرطبي : (معنى " بالنفس اللوّامة " أي بنفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه يقول : ما أردت بكذا ؟ فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه ، قاله ابن عباس ومجاهد ، والحسن وغيرهم . قال الحسن : هي والله نفس المؤمن ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلامي ؟ ما أردت بأكلي ؟ ما أردت بحديث نفسي ؟ والفاجر لا يحاسب نفسه . وقال مجاهد : هي التي تلوم على ما فات وتندم ، فتلوم نفسها على الشرّ لِمَ فعلته ؟ وعلى الخير لِمَ لمْ تكثر منه ؟) (٣) .

٦ – ما ورد منها وصفًا لليهود (٤)

ورد من صيغة "فَعّال " – وصفًا لليهود – لفظان هما :

الأول : ﴿ أكّالون للسُّحتِ ﴾ جاء في القرآن مرة واحدة هي قوله تعالى : ﴿ سماعون للكذب أكّالون للسحت ﴾ (٥)

و" الأكول والأكّال : الكثير الأكل " (٦)

فهم قوم "يُكثرون من أكل الحرام من الرشوة والربا (عن الحسن كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه فأراها إياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة) (٧) .

---

(١) القيامة/ ٢
(٢) الكشاف ٤ / ١٦٣
(٣) القرطبي ١٠ / ٧١٢٩
(٤) سيفرد لها – إن شاء الله – مبحث مستقل في الفصل الخامس .
(٥) المائدة/ ٤٢
(٦) المفردات /٨٠
(٧) الكشاف ١ / ٣٣٩

اللفظ الآخر : ﴿ سَمَّاعون لِلْكَذِبِ ﴾ وجاء في القرآن أربع مرات (١)

قال ابن منظور : " رجل'' سمَّاع : إذا كان كثير الاستماع لما يقال وينطق به " (٢) .

" والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب أو في قبول ما يفتريه أحبارهم من الكذب على الله ــ سبحانه ــ وتحريف كتابه ، أو سمَّاعون أخباركم وأحاديثكم ليكذبوا عليكم بأن يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير ، أو أخبار الناس وأقاويلهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بأن يرجفوا بقتل المؤمنين ، انكسار سراياهم .... فإن كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة وابتناء أمورهم على ما لا أصل له من الأباطيل ، والأراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون ، وما يذرون للقطع بظهور بطلان أكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الأفاعيل الفاسدة المؤدية إلى الخزي والعذاب) (٣) ، ويُضيف " ابن عاشور " : (جاء " سمَّاعون " بصيغة **المبالغة** للدلالة على أن استماعهم تام ، وهو الاستماع الذي يقارنه اعتقاد ما يُسمع) (٤) .

وأقول ربما اكتسبوا صفة المبالغة في السماع على سبيل الذم لعدم تمييزهم في السماع بين الحسن والرديء ، فيبدوا أنهم أضافوا إلى السماع حب التصديق ، والميل إلى القبول ، على الرغم من فَوْح الكذب وجلاء الافتراء ، فهم ــ نظرًا لاعوجاج جبلتهم ، وانتكاس فطرتهم أحد رجلين ؛ إما مُغرق في السماع إلى الكذب ! أو مبالغ'' في سماع الأخبار والأحاديث قصدًا لتحريفها وتبديلها ثم بعد ذلك نشرها (وفي هذا كناية عن تفشيً الكذب في جماعتهم بين سامعٍ ومختلق ؛ لأن كثرة السمع تستلزم كثرة القول) (٥) .

---

(١) هي قوله تعالى : ﴿ ومن الذين هادوا سمَّاعون للكذب ﴾ المائدة / ٤١ .
وقوله تعالى : ﴿ سمَّاعون لقومٍ آخرين لم يأتوك ﴾ المائدة / ٤١ .
وقوله تعالى : ﴿ سمَّاعون للكذب أكَّالون للسحت ﴾ المائدة / ٤٢ .
وهذه المواضع الثلاثة في اليهود أما الموضع الرابع وهو قوله تعالى : ﴿ ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمَّاعون لهم ﴾ التوبة/ ٤٧ فقد نزلت في " المنافقين " .
(٢) لسان العرب مادة (س . م . ع) .
(٣) أبو السعود ٤١١٣
(٤) التحرير والتنوير مجلد ٦ ١٠ / ٢١٨
(٥) التحرير والتنوير مجلد ٤ ٦ / ١٩٩ .

٧ – ما ورد منها وصفـًا للعصاة والكافرين

ورد من صيغة " فعّال " وصفـًا للعصاة والكافرين عشرة أمثلة هي :

أفـّـاك ـــ حـلاّف ـــ ختـّـار ـــ الخرّاصون ـــ خوّان ـــ سحّار ـــ كفّـار ـــ مشّاء بنميم منّاع للخير ـــ النـّـفّاثات .

أولاً : أفّـاك :

ورد هذا اللفظ في القرآن مرتين : **الأولى** : قوله تعالى : ﴿ تنزّلُ على كلّ أفـّاكٍ أثيمٍ ﴾ (١)

والأخرى : قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لكلّ أفـّاكٍ أثيمٍ ﴾ (٢)

" الإفـك : الكـذب ... والأفـّاك : الذي يأفك النّاس أي يَصدُّهم عن الحـق بباطله " (٣) قال أبو حيان في تفسير آية الشعراء : (تنزل على كل أفـّاك وهـو الكثير الإفك وهو الكذب (أثيم) كثير الإثم " فأفـّاك أثيم " صيغتا **مبالغة** والمراد الكهنة) (٤) وقال ابن جـزي في تفسير آية الجاثية : (الأفـّاك **مبالغة** في الإفك وهو الكذب ، والأثيم من الإثم ، وقيل إنها نزلت في النضر بن الحارث ولفظها على العموم) (٥) .

ثانيًا : حلاّف :

ورد هذا اللفظ في القرآن مرة واحدة هي قوله تعالى : ﴿ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاّفٍ مهين ﴾ (٦)

الحلاّف : كثير الحلف في الحق والباطل (٧) ومـن دلالات صيغة " المبالغة " النهي عن الإكثار من الحلف وإن كان على سبيل الحق والاقتصار منه فقط على ما تقتضيه الضرورة ويستدعيه الظّرف والحال .

---

(١) الشعراء/ ٢٢٢
(٢) الجاثية/ ٧
(٣) لسان العرب مادة (أ . ف . ك) .
(٤) البحر المحيط ٧ / ٤٥
(٥) التسهيل ٤ / ٣٨
(٦) القلم / ١٠
(٧) انظر الكشاف ٤ / ١٢٧ ، والصاوي على الجلالين ٤ / ١٩٧ ، وأبا السعود ٩ / ١٣ والبيضاوي ٢ /٥١٥ ، والتسهيل ٤ /١٣٨ .

obeikandl.com

ثالثـا : ختَّار :

ورد كذلـك في القرآن مرةً واحدة هي قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إلا كُلُّ ختَّار كَفُور ﴾ (١) .

الختَّار : صيغة **مبالغة** تعني الغدَّار شديد الغدر وذلك لجحوده نعمة الله (٢)

قـال ابـن مـنظور : (الختر : شبيه" بالغدر والخديعة ، وقيل :هو الخديعة بعينها ، وقيل : هو أسوأ الغدر وأقبحه ... وختَّار **للمبالغة**) (٣)

رابعـا : الخرَّاصون :

ورد في القرآن مرة واحدة هي قوله عز من قائل : ﴿ قُتِلَ الخَرَّاصُون ﴾ (٤)

(الخرَّاصـون : الكذَّابون ، وأصل الخَرْص : التخمين والقول بالظن والإشارة إلى الكفـَّار ، وقيل إلى الكُهَّان والأول أظهر) (٥)

وفـي الصيغة إشارة إلى ذم الاختلاق وكل قول لا ينبني على علمٍ أو يقين كما قال عز من قائلٍ : ﴿ وإن تُطع أكثر من في الأرض يُضِلُّوك عن سَبيلِ الله إن يَتَّبعون إلا الظنَّ وإن هم إلا يَخْرُصُون ﴾ (٦)

خامسًا : خـوَّان :

ورد فـي القرآن مرتين : الأولى قوله تعالى : ﴿ إنَّ الله لا يُحِبُّ من كَانَ **خوَّانـًا** أثِيمـًا ﴾ (٧)

والأخرى قوله تعالى : ﴿ إنَّ الله لا يُحب كُلَّ **خوَّانٍ** كَفُور ﴾ (٨)

---

(١) لقمـان/ ٣٢

(٢) انظر القرطبي ٧ / ٥٣٣٨ ، والبحر ٧ / ١٨٩ ، والبيضاوي ٢ / ٢٣١ والتسهيل ٣ / ١٢٨ ، والكشاف ٣ / ٢١٦ ، والتحرير والتنوير مجلد ١٠ ٢١ / ١٩١ .

(٣) لسان العرب مادة (خ . ت . ر) .

(٤) الذاريات / ١٠

(٥) التسهيل ٤ / ٦٧

(٦) الأنعام / ١١٦

(٧) النساء/ ١٠٧

(٨) الحج /٣٨

openkanda.com

" الخوَّان : مبالغة في خائن " (١)

قال ابن عاشور بصدد ماجاء في سورة النساء " خــوَّان كفــور " (الخوَّان الشديد الخَوْن . والخَوْن كالخيانة : الغَدْر بالأمانة والمراد بالخوَّان الكافـر ؛ لأن الكفر خيانة لعهد الله الذي أخذه على المخلوقات بأن يوحّدوه ، فجعله في الفطرة ، وأبلغه الناس على ألسنة الرسل فنبَّه بذلك ما أودعهم في فطرتهم) (٢)

وقال أبو حيَّان بصدد ما جاء في سورة الحج " خَوّانـًا أثيمـًا " (أتى بصـيغة **المـبالغة** فـي الخيانة والإثم ليخرج منه من وقع منه المَرّة ومن صدرت منه الخيانة على سبيل الغفلة وعدم القَصد) (٣)

بـيد أنـه ينبغـي الحـذر من فهم تقييد البعض بالكثرة **والمبالغة** في الخيـانة ، وانتفائها عند القلة أو الندرة ؛ لأن الصيغة جـاءت لبيـان أن " طعمة " (٤) الذي نزلت فيه آية النساء كان كذلك كثير الخيانة (٥)

سادسًا : سـحَّار :

ورد فـي القـرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ **سَحَّار** عَلِيم ﴾ (٦) وهـنا نكتة بلاغية لطيفة ، كانت صيغة المبالغة سرَّها ومنبع جمالهـا إذ لمَّا قال فرعون للملأ ﴿ إِنَّ هذا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (٧) وجـاءت لفظـة " ساحر " بصيغة اسم الفاعل ، أرادوا أن يطمئنوه ويبثوا في قلبه " الرِّضـا فأخـبروه أن ثمـة مَنْ هو أكثر منه علمًا بالسحر فجاءوا بصيغة المبالغة ، قال " أبو حيان " : (عارضوا بقوله : بكل سحَّار) فجاءوا بكلمة الاستغراق والبناء الذي **للمبالغة** ليُنَفِّسوا عنه بعض ما لحقه من الكرب) (٨)

---

(١) التسهيل ٣ / ٤٢
(٢) التحرير والتنوير مجلد ٨ ١٧ / ٢٧٢
(٣) البحر المحيط ٣ / ٣٥٩
(٤) سرق " طعمة بن الأبيرق " طعامـًا وسلاحًا لبعض الأنصار ، فجاء قومه إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقالوا إنه بريء ونسبوا السرقة إلى غيره وظن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنهم صادقون ، فجادل عنهم ليدفع ما نسب إليهم حتى نزل القرآن فافتضحوا . انظر التسهيل ١ / ١٥٧
(٥) انظر أبا السعود ٦ / ١٠٨
(٦) الشعراء/ ٣٧
(٧) الشعراء/ ٣٤
(٨) البحر المحيط ٧ / ١٥ ، وانظر الكشاف ٣ / ١١٣ ، والصاوي علي الجلالين ٣ / ١٤٢ ، والبيضاوي ٢ / ١٥٤

سابعًا : كفَّــار :

ورد في القرآن أربع مرَّات [١]

الكفَّار : شديد الكفران [٢] و " الكفَّار أبلغ من الكفور " [٣] واللفظة لها فـي كل آية توجّه ففي موضع سورة البقرة ﴿ والله لا يحبُّ كلَّ كفَّارٍ أثيمٍ ﴾ قـال أبو حيَّان : (فيه تغليظ أمر الربا ، وإيذان'' أنه من فعل الكفَّار'' لا من فعل أهل الإسلام ، وأتى بصيغة **المبالغة** في الكافر والإثم وإن كان تعالى لا يحب الكافر ، تنبيهـًا على عظم أمر الربا ومخالفة الله) [٤]

ثامنـًا : مشـاءٍ بنميم :

ورد فـي القـرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [٥] ومعـناه : كثـير المشي بالنميمة و "يُكنى بالمشي عن النميمة " [٦] وهذا نمـوذج مـن نماذج الكافرين [٧] حيث يهتم كل الاهتمام بنقل الحديث على وجه السعاية والنكاية ، ويسعى في ذلك سعيًا لإفساد ذات البَيْن وفسخ الوشائج بين الناس وإتلاف حبال المودة بينهم .

تاسعًا : منَّاعٍ للخير :

ورد فـي القـرآن مرةً واحدةً في قوله تعـالى : ﴿ مَنَّاعٍ للخـير مُعْتَدٍ مرِيبٍ ﴾ [٨]

---

(١) هي قوله تعالى : ﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لايحب كل كفَّار أثيم ﴾ البقرة/ ٢٧٦ .
وقوله تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم'' كفَّار ﴾ إبراهيم/ ٣٤ .
وقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يهدي من هو كاذب'' كفَّار ﴾ الزمر/ ٣ .
وقوله تعالى : ﴿ ألقيا في جهنم كل كفَّار عنيد ﴾ ق/ ٢٤

(٢) انظر البيضاوي ١ /٥٢٠ ، وأبا السعود ٥ / ٥٠

(٣) المفردات / ٧١٥

(٤) البحر المحيط ٢ / ٣٥٠

(٥) القلم / ١١

(٦) المفردات / ٧٦٩

(٧) قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الأخنس بن شريف وقيل غيرهما . انظر البحر المحيط ٨ /٣٠٤ ، والصاوي على الجلالين ٤ /١٩٧ ، الكشاف ٤ /١٢٧

(٨) ق/ ٢٥

" رجـل " مـنوع ومانع ومنَّاع : ضنين مُمْسِك " [١] وهو أيضًا نموذج من نماذج الكافرين في قريش [٢] كان (كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الإسلام فإن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لمَّا منع بني أخيه منه) [٣] .

عاشرًا : النَّـفَّاثات :

ورد في القرآن مرةً واحدةً في قوله تعـالى : ﴿ وَمِن شَرِّ النَّـفَّاثات في العُقَدِ ﴾ [٤]

(النَّفث : أقل من التفل ؛ لأن التفل لا يكون إلا معه شيء من الريق والنَّفث : شبيه بالنفخ ، وقيل : هو التفل بعينه .. قوله عز وجل : ﴿ من شر النَّـفَّاثات في العقدِ ﴾ : هنَّ السواحر . والنوافث : السواحر حين يَنْـفُـثْن في العقـد بـلا ريق) [٥] قال أبو حيان : (" والنَّـفَّـاثات " النساء أو النفوس أو الجماعـات السـواحر يعقدن عقدًا في خـيوط وينفثن عليها ويرقين) [٦] .

٨ – ما ورد منها وصفًـا للجن والشياطين

ورد من صيغة " فعّال " وصفـًا للشيطان ثلاثة ألفاظ هي :

الخنَّـاس ــ بَنـَّاء ــ غوَّاص .

الأول : الخنَّاس :

ورد فـي القـرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ مِن شَرِّ الوَسْواس الخَنَّاس ﴾ [٧]

---

(١) لسان العرب مادة (م . ن . ع) .
(٢) كـادت أن تتفق كتب التفسير على أن المقصود بالآيات " الوليد بن المغيرة " انظر البيضاوي ٢ / ٤٢٣ ، والتحرير والتنوير مجلد ١٢ ٢٦ / ٣١٢ ، وأبا السعود ٨ / ١٣١ .
(٣) أبو السعود ٨ / ١٣١
(٤) الفلق/ ٤
(٥) لسان العرب مادة (ن . ف . ث) .
(٦) البحر المحيط ٨ / ٥٣٣
(٧) الناس/ ٤

الخـنَّاس : (أي الشـيطان الذي يخنس ، أي يَنْقبضُ إذا ذُكـر الله تعـالى) [١] وقـال ابن منظور : (في الحديث : الشيطان يوسـوس إلى العـبد ، فإذا ذكر الله خنس : أي انقبض منه وتأخر . قال الأزهري : وكذا قـال الفرَّاء في قوله تعالى : ﴿ مِن شَرِّ الوسواسِ **الخَنَّاس** ﴾ قال : إبليس يوسوس في صدور الناس ، فإذا ذُكر الله خنس ، وقيل : إن له رأسًا كرأس الحية يجثم على القلب ، فإذا ذكر الله العبدُ تنحَّى وخَنَس ، وإذا تُرك ذِكرُ الله إلى القلب يوسوس) [٢]

وبنية المبالغة " **الخنَّاس** " تُلبس الشيطان وصف التستر والتخفي عند الذكر بالمفارقة ثم عند المعاودة يتلبَّس بالطريقة نفسها " فهو يخنس في تباعده ثم في رجوعه بعد ذلك " [٣] فهذا دأبه وتلك عادته أعاذنا الله منه .

الثاني : اللفظان الآخران معـًا : بنـَّاء وغوَّاص

فقـد وردا فـي آيـة واحدة في قوله تعالى : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ [٤]

(البنَّاء : الذي يَبْني وهو اسم فاعل مصوغ على زنة **المبالغة** للدلالة

على معنى الصناعة مثل نجَّار وقصَّار [٥] وحدَّاد . والغوَّاص : الذي يغوص في البحر لاستخراج محار اللؤلؤ ، وهو أيضـًا مما صيغ على وزن **المبالغة** للدلالة على الصناعة) [٦] وقال ابن منظور : (الغَوْص : النزول تحـت المـاء ، وقـيل : الغَـوْص : الدخول في الماء ، غاص في المـاء غَوْصـًا ؛ فهو غائص غَوَّاص) [٧] ويتحدث القرطبي عن فضل الله ــ عز وجل ــ على سليمان ــ عليه السلام بتسخير الجنِّ له فيقول :

(" والشـياطين كُـلَّ بنَّاء وغوَّاص " أي وسخرنا له الشياطين ، وما سُخِّرت لأحد قبله . "كُلَّ بنَّاء " بدل من الشياطين أي كل بناء منهم ، فهم

---

(١) المفردات / ٣٠٠
(٢) لسان العرب مادة (خ . ن . س) .
(٣) التسهيل ٤ / ٢٢٧
(٤) ص~/ ٣٧
(٥) المبيِّض للثياب
(٦) التحرير والتنوير مجلد ١١ ٢٣ / ٢٦٦
(٧) لسان العرب مادة (غ . و . ص) .

يبنون له ما يشاء " وغوّاص " يعني في البحر يستخرجون له الدُّرّ ، فسليمان أول من استخرج له اللؤلؤ من البحر) [١] .

٩ – ما ورد منها وصفـًا للنار وأهلها

ورد من صيغة " فعّال " وصفـًا للنار وأهلها ثلاثة ألفاظ هي :

غسّاق ــ لوّاحة ــ نزّاعة .

الأول : غسّاق

ورد فـي القـرآن مرة واحدة بلفظ " غسّاق " في قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [٢] وورد مرة أخرى بلفظ " غساقـًا " في قوله تعالى : " لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا إلا حميمًا وغساقـًا " [٣] .

(الغسّاق : ما يَقطِرُ من جلود أهل النار) [٤] وقال ابن منظـور : (الغسّاق ... ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم ؛ وقيل : ما يسيلُ من دموعهم ؛ وقيل ... المُنْتِن البارد الشديد البرد الذي يُحرق من بَرْده كإحراق الحميم) [٥] وقال القرطبي : ((هو اسم فاعل نقل إلى فعّال **للمبالغة** ، نحو ضرّاب ، وقتّال وهو فعّال من غسق يغسق فهو غساق وغاسق . قال ابن عباس : هو الزمهرير يخوفهم ببرده وقال مجاهد ومقاتل : هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده . وقال غيرهما : إنه يحرق ببَرْده كما يحرق الحميم بحرّه)) [٦]

الثاني : لوّاحة :

ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ **لَوَّاحَةٌ** للبشرِ ﴾ [٦]

---

(١) القرطبي ٨ / ٥٨٤٨
(٢) ص~/ ٥٧
(٣) النبأ / ٢٤ ، ٢٥
(٤) المفردات / ٦٠٦
(٥) لسان العرب مادة (غ . س . ق) .
(٦) القرطبي ٨ / ٥٨٦٣ ، ٥٨٦٤
(٧) المدثر/ ٢٩

(قال الزجاج في قوله عز وجل : ﴿ لوَّاحة للبشر ﴾ أي تُحرق الجلد حتى تُسوِّده ، يقال لاحه ولوَّاحه . ولوَّحت الشيء بالنار : أحميته) [١]

وقال الزمخشري : (من لوح الهجير ... قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادًا من الليل) [٢] .

وربما دَلَّ اللفظ على أنها تظهر للناس من مسيرة خمسمائة عام ، وذلك لعظمها وهولها وزجرها [٣] .

الثالث : نزَّاعة :

ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى **نَزَّاعَةً** لِلشَّوَى ﴾ [٤]

الشوى : الأطراف أو جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها نزعًا فتبتكها ثم تعاد مرة أخرى [٥] " وقال الضَّحَّاك : تفري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئًا " [٦] ياله من مشهد في تصوُّر نزع الأطراف ، واقتلاع جلود الرءوس أضف إلى ذلك قرع لفظة " **نزَّاعة** " الذي يمنح المتلقي وجوهًا من التخيّل في الشكل المُفزع المُتكرر ، وما ظنك بالكافر حين تتراءى له النار بتلك المشاهد فما إخاله إلا هاربًا ساعتها يبين لنا النظم القرآني العالي دعوة النار له وقد همَّ بالفرار ﴿ تدعو من أدبر وتولى * وجمع فأوعى ﴾ [٧] إذ تَلتَهمُ النارُ الناسَ كما تُلتَهَمُ الفريسة.. تدعوهم بلسان فصيح : إليَّ يا فاجر ! إليَّ يا فاسق ! عندئذٍ ﴿ يَوَدُّ المجرمُ لو يَفْتَدي مِن عَذَابِ يومئذٍ بِبَنِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخيهِ * وَفَصِيْلَتِهِ التي تُؤيه * ومن في الأرض جميعًا ثم يُنجيه ﴾ [٨]

---

(١) لسان العرب مادة (ل . و . ح) .
(٢) الكشاف ٤ / ١٥٩
(٣) انظر البحر المحيط ٨ / ٣٦٧
(٤) المعارج/ ١٥ ، ١٦
(٥) انظر الكشاف ٤/ ١٣٩ ، والتسهيل ٤/١٤٧ ، الصاوي على الجلالين ٤ /٢١٠
(٦) القرطبي ١٠ / ٧٠١٤
(٧) المعارج/ ١٧ ، ١٨
(٨) المعارج/ ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤

١٠ – ما ورد منها لمعانٍ شتَّى

ورد من صيغة " فعّال " لهذه المعاني ستة ألفاظ هي :

ثجَّاجًا – السيَّارة – طوَّافون – ليس بظلاَّم – قوَّامون – وهَّاجًا

الأول : ثجاجًا

ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا من الْمُعْصِرات مَاءً **ثَجَّاجًا** ﴾ (١)

(الثجَّ : الصبُّ الكثير ، وخَصَّ بَعْضُهم به صبَّ الماء الكثير ... وثجيج الماء : صوت انصبابه ... وماء ثجوج وثجَّاج : مصبوب) (٢) فالماء الثجاج هو الماء الكثير المُتَتابع سريع الاندفاع (٣)

الثاني : السيَّارة .

ورد في القرآن ثلاث مرَّات (٤)

السَّيَّارة : جمع سيَّار ، وهو الكثير السير في الأرض للتجارة وغيرها (٥)

وفي يوسف ثمَّةَ نكتة لطيفة من جرَّاء بنية **المبالغة** " السَّيَّارة " ؛ إذ هم قوم – في العادة – تُجَّار رُحَّال يأتون من أماكن بعيدة ، وعند عثورهم على يوسف في الجب وأخذه معهم ، يكونون قد أسدوا إلى أخوة يوسف خدمةً جليلةً في إبعاده كُلِّيَّةً عن أبيهم (حتى لا يحتاجوا إلى الحركة بأنفسهم فربما لا يأذن لهم أبوهم وربما يطلع على قصدهم) (٦)

---

(١) النبأ/ ١٤

(٢) لسان العرب مادة (ث . ج . ج) .

(٣) انظر القرطبي ١٠ / ٧٢١٠ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٠٤ ، والتسهيل ٤ / ١٧٣

(٤) هي قوله تعالى : ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعًا لكم وللسيارة ﴾ المائدة/ ٩٦
وقوله تعالى : ﴿ وألقوه في غيابة الجُب يلتقطه بعض السيارة ﴾ يوسف/ ١٠
وقوله تعالى : ﴿ وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه ﴾ يوسف/ ١٩

(٥) انظر البحر المحيط ٥ / ٢٨٥ ، والتسهيل ٢ / ١١٥

(٦) القرطبي ٤ / ٣٤٥٤

الثالث : طَوَّافون .

ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ طَوَّافون عَلَيْكم بَعْضُكُم عَلَى بَعْضٍ ﴾ (١)

الطوَافون هم الخدم والمماليك (٢)

وبنية المبالغة دالة''على كثرة المُضِيّ والمجيء ، ومسيس الحاجة إلى المخالطة والمداخلة مما أوجب رفع الحرج ، وإباحة العذر في ترك الاستئذان .

الرابع : ليس بظلاّم .

ورد في القرآن الكريم خمس مرات (٣)

" الظلم : وضع الشيء في غير موضعه (٤)

ويبدو أن هناك شبهةً عند البعض في أن نفي الكثير لا يقتضي نفي القليل .

قال العكبري : (" ظلاّم " : من الظلم ، فإن قيل : بناء فعّال **للتكثير** ولا يلزم من نفي الظلم الكثير نفي الظلم القليل ، فلو قال : بظالم لكان أدلّ على نفي الظلم قليله وكثيره) (٥) وقد أجاب بأوجه كثيرة لعل أهمها : (أن ظلاّم هنا للكثرة ؛ لأنه مقابل للعباد ، وفي العباد كثرة وإذا قوبل بهم الظلم كان كثيرًا) (٦)

---

(١) النور/ ٥٨

(٢) انظر لسان العرب مادة (ط . و . ف) ، والبحر المحيط ٦ / ٤٣٣

(٣) هي قوله تعالى : ﴿ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلاّمٍ للعبيد ﴾ آل عمران/ ١٨٢
وقوله تعالى : ﴿ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلاّمٍ للعبيد ﴾ الأنفال/ ٥١
وقوله تعالى : ﴿ ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلاّمٍ للعبيد ﴾ الحج/ ١٠
وقوله تعالى : ﴿ من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربُّك بظلاّمٍ للعبيد ﴾ فصلت/ ٤٦
وقوله تعالى : ﴿ ما يبدل القول لديّ وما أنا بظلاّمٍ للعبيد ﴾ ق~/ ٢٩

(٤) لسان العرب مادة (ظ . ل . م) .

(٥) التبيان في إعراب القرآن ــ لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ــ تحقيق على محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط الثانية ١٩٨٧م ١ / ٣١٦

(٦) التبيان ١ /٣١٦

وقريب'' من هذا ما ذكره " أبو السعود " : (وقيل هي لرعاية جمعية العبـيد من قولهم فلان ظالم لعبده ، وظـلاّم لعبيده على أنها **للمبالغة** كمـًا لا كيفـًا) (١)

الخامس : قوَّامون .

ورد هـذا اللفـظ ــ مرفوعًا ــ " **قوَّامون** " في القرآن مرة واحدة في قولـه تعـالى : ﴿ الرِّجال قوَّامون على النِّساء بما فضّل الله بَعْضَهم على بعضٍ وَبِما أَنْفقوا مِن أَموالِهم ﴾ (٢)

وورد ــ منصـوبًا ــ " **قوَّامـين** " في القرآن في موضعين : الأول : قولـه تعالى : ﴿ يَاأَيُّها الذين آمنوا كونوا **قوَّامين** بالقسطِ شُهداءَ لله ولو على أنفسِكم أو الوالدَيْنِ والأَقْرَبِين ﴾ (٣)

والآخـر : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الذين آمنوا كونوا **قوَّامين** لله شهداءَ بالقسطِ ﴾ (٤)

الـرجال **قوَّامون** : قوّام بناء **مبالغة** من القيام على الشيء ؛ فالرجال مُتكفّلون بأمور النساء ، مَعْنيُّون بشئونهن (٥)

وبنـية " قوَّامين " وهي تَعْني مجتهدين في إقامة العدل حتى لا يكون منهم جور'' ما وهذا من دلالات صيغة المبالغة للكلمة (٦)

السادس : وهَّاجـًا .

ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى :

---

(١) أبو السعود ٢ / ١٢٢
(٢) النساء/ ٣٤
(٣) النساء/ ١٣٥
(٤) المائدة/ ٨
(٥) انظر التسهيل ١ / ١٤٠ ، ولسان العرب مادة (ق . و . م) . وفي صيغة "قَوّامون" دلالة على تفضيل الرجال على النساء ، وليس ما يُروّج له من المساواة بينهما ، فقد خصَّ الله ــ عز وجل ــ الرجال بالجمعة ، والجماعة ، والـنفقة علـى النسـاء ، وحِلّ الأربع ، وملك النكاح والطلاق ، والرجعة ، وكمال العبادات ، والتعصيب في المـيراث ، والديـات والصـلاحية للنـبوة ، والخلافـة ، والإمامة ، والخطابة ، والجهاد ، والرمي ، والأذان ، والاعتكاف ، وانتساب الأدولاد .... إلخ ، وليس في ذلك تنقيص'' لحق المرأة ، وإنما أمر الله ــ عز وجل ــ كلّ جنسٍ بما يناسب الدّور المنوط به .
(٦) انظر البحر المحيط ٣ / ٣٨٤ ، والتسهيل ١ / ١٦٠

Obeikandi.com

﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ [١] (الوهج : حصول الضوء والحر من النار ... " وجعلنا سراجًا وهَّاجًا أي مضيئـًا "[٢]

وقـال الزمخشـري : (" وهَّاجـًا " متلألئـًا وقَّادًا يعني الشمس ، وتوهجـت النـار إذا تلمَّظت ، فتوهجت بضوئها وحَرِّها) [٣] وَبيَّن '' أن وصـف الشـمس بالسراج الوهَّاج منح الشمس ذاتية الإضاءة ، واستمرارها على ذلك أبدًا حتى يأتي وعد الله ــ عز وجل .

ملاحظات على صيغة فَعَّال

١-ورد عـدد أمثلة هذه الصيغة في القرآن الكريم أربعين مرة وهي بهذا تعد أعلى صيغة من صيغ المبالغة ورد لها أمثلة في القرآن الكريم .

٢-جاءت أمثلة الصيغة على النحو التالي :

١) ما ورد منها اسمًا أو صفة لله ــ عز وجل ــ :عشرة أمثلة .

٢) ما ورد منها وصفـًا للأنبياء : مثالان .

٣) ما ورد منها وصفـًا للمؤمنين : مثال'' واحد'' .

٤) ما ورد منها وصفـًا للجنة : مثال'' واحد'' .

٥) ما ورد منها وصفـًا للنفس : مثالان .

٦) ما ورد منها وصفـًا لليهود : مثالان .

٧) ما ورد منها وصفـًا للعصاة والكافرين : عشرة أمثلة .

٨) ما ورد منها وصفـًا للجن والشياطين : ثلاثة أمثلة .

٩) ما ورد منها وصفـًا للنار وأهلها : ثلاثة أمثلة .

١٠) ما ورد منها لمعانٍ شتَّى : ستة أمثلة .

---

(١) النبأ /١٣.
(٢) المفردات /٨٨٥ .
(٣) الكشاف ٤ / ١٧٧ .

٣-لفظ " صبَّار " ليس من أسماء الله ، وإنما الذي من أسماء الله " الصبور " ، و" الصبور " لم يرد في كتاب الله عز وجل ، وإنما الذي ورد في الحديث الشريف ، قوله صلى الله عليه وسلم : " لا أحد أصبر من " الله " (١)

(٢) صيغة فَعِيل

وردت صيغة " فعيل " في القرآن الكريم من خلال نماذج متعددة حوت دلالات مختلفة ، أعظمها تضمنها لأسماء الله وصفاته ، كما جاءت وصفًا للنفس ، والعصاة ، والشياطين ، وجاءت لمعانٍ أخرى ويمكن دراسة هذه الصيغة على النحو الآتي :

١- ما ورد منها اسمًا أو صفة لله ـ عز وجل .

٢- ما ورد منها وصفًا للأنبياء .

٣- ما ورد منها وصفًا للنفس .

٤- ما ورد منها وصفًا للعصاة والكافرين .

٥- ما ورد منها وصفًا للجن والشياطين .

٦- ما ورد منها وصفًا للنار وما فيها .

٧- ما ورد منها لمعانٍ شتَّى .

---

(١) متفق عليه .

obeikandl.com

١ – ما ورد منها اسمًا أو صفة لله ــ عز وجل .

ورد مــن أســماء الله ــ تعــالى ــ وصفاته من هذه الصيغة سبعة'' وعشرون اسمًا هي : البصير (١) ــ الحسيب (٢) ــ الحفيظ (٣) ــ الحفيّ (٤) ــ الحكيم (٥) ــ الحليم (٦) ــ الحميد (٧) ــ الخبير (٨) ــ الرحيم (٩) ــ رفيع الدرجات (١٠) ــ الرقيب (١١) ــ السميع (١٢) ــ

---

(١) ورد لفظ " بصير " في القرآن الكريم ستًا وثلاثين مرة ووردت كلها في أسماء الله عدا : الأنعام/ ٥٠ ، وهــود/ ٢٤ ، والرعد/ ١٦ ، وفاطر/ ١٩ ، وغافر/ ٥٨ وورد بلفظ " بصيرًا " خمس عشرة مرة ، وردت في أسماء الله عدا : يوسف/ ٩٣ ، ٩٦ وطه/ ١٢٥ والإنسان/ ٢ .

(٢) ورد هذا الاسم في القرآن الكريم أربع مرات هي : في النساء/ ٦ ، ٨٦ والإسراء/ ١٤ والأحزاب/ ٣٩ ، وردت في أسماء الله عدا الإسراء/ ٤٤ .

(٣) ورد هــذا الاسم في القرآن الكريم بلفظ " حفيظ " ثماني مرات هي : الأنعام/ ١٠٤ ، وهود/ ٥٧ ، ٨٦ ويوســف/ ٥٥ وسبأ/ ٢١ والشورى/ ٦ وق~/ ٤ ، ٣٢ ، ورد منها فقط في أسماء الله في هود/ ٥٧ ، ســبأ/ ٢١ ، والشــــــورى/ ٦ وورد بلفــظ " حفيظــًا " ثلاث مرات في النساء/ ٨٠ والأنعام/ ١٠٧ والشورى/ ٤٨ ، وردت في غير أسماء الله تعالى .

(٤) ورد هذا الاسم في القرآن الكريم بلفظ " حفيّ " مرة واحدة في الأعراف/ ١٨٧ في غير أسماء الله تعالى ، وبلفظ " حفيــًا " مرة واحدة في مريم/ ٤٧ وهو اسم من أسماء الله عز وجل .

(٥) ورد بلفــظ " حكــيم " إحــدى وثمانيــن مرة ، كلها في أسماء الله تعالى عدا لقمان/ ٢ ، يس~/ ٢ ، الزخــرف/ ٤ ، الدخــان/ ٤ (انظــر المعجم المفهرس /٢٦٢ وما بعدها وورد بلفظ " حكيمًا " ست عشرة مرة هي : النساء/ ١١ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٥٦ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١٣٠ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٧٠ والأحزاب/ ١ والفتح/ ٤ ، ٧ ، ١٩ والإنسان/ ٣٠ كلها في أسماء الله عز وجل .

(٦) ورد بلفــظ " حلــيم " اثنــتى عشرة مرة هي : في البقرة/ ٢٢٥ ، ٢٣٥ ، ٢٦٣ وآل عمران/ ١٥٥ ، والنســاء/ ١٢ والمائدة/ ١٠١ والتوبة/ ١١٤ وهود/ ٧٥ ، ٨٧ والحج/ ٥٩ والصافات/ ١٠١ والتغابن/ ١٧ كلهــا فــي أسماء الله تعالى عدا التوبة/ ١١٤ وهود/ ٧٥ ، ٨٧ والصافات/ ١٠١ وبلفظ " حليمًا " ثلاث مرات في : الإسراء/ ٤٤ والأحزاب/ ٥١ وفاطر/ ٤١ وكلها في أسماء الله عز وجل .

(٧) ورد بلفــظ " حميد " ست عشرة مرة هي : في البقرة/ ٢٦٧ وهود/ ٧٣ وإبراهيم/ ١ ، ٨ والحج/ ٢٤ ، ٦٤ ولقمان/ ١٢ ، ٢٦ وسبأ /٦ وفاطر/ ١٥ وفصلت/ ٤٢ والشورى/ ٢٨ والحديد/ ٢٤ والممتحنة/ ٦ والتغابــن/ ٦ والبروج/ ٨ كلها وردت في أسماء الله وبلفظ " حميدًا " ورد مرة واحدة في النساء/ ١٣١ وهو اسم من أسماء الله .

(٨) ورد بلفظ " خبير " ثلاثــًا وثلاثين مرة كلها في أسماء الله عز وجل ، وبلفظ " خبيرًا " اثنتى عشرة مرة كلها في الأسماء الحسنى عدا قوله تعالى " الرحمن فاسأل به خبيرًا " الفرقان/ ٥٩ ، فقد احتمل أن يكون اســمًا مــن أسماء الله إذا كان النصب على الحالية واحتمل أن يكون وصفــًا للمسئول إذا كان النصب على المفعولية انظر التسهيل ٣ / ٨١ .

(٩) ورد بلفظ " رحيم " خمسًا وتسعين مرة ، كلها في أسماء الله تعالى عدا التوبة/ ١٢٨ ، وبلفظ " رحيمًا " عشرين مرة ، كلها في أسماء الله وبلفظ " رحماء " مرة واحدة في الفتح/ ٢٩ .

(١٠) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " رفيع الدرجات ذو العرش " غافر/ ١٥ .

(١١) ورد بلفــظ " رقيب " ثلاث مرات في " المائدة/ ١١٧ { في أسماء الله } وهود/ ٩٣ وق~/ ١٨ في غير أسماء الله وبلفظ " رقيبــًا " مرتين هما : النساء / ١ ، والأحزاب /٥٢ وكلتاهما في أسماء الله .

(١٢) ورد بلفــظ " ســميع " ثلاثــًا وأربعين مرة كلها في أسماء الله عدا هود/ ٢٤ ، وبلفظ " سميعــًا " أربع مرات كلها في أسماء الله عدا الإنسان/ ٢

الشهيد (١) ــ العزيز (٢) ــ العظيم (٣) ــ العليم ــ (٤) ــ العليّ (٥) ــ القدير (٦) ــ القريب (٧) ــ الكبير (٨) ــ الكريم (٩) ــ اللطيف (١٠) ــ المتين (١١) ــ المجيد (١٢) ــ المليك (١٣) ــ الوكيل (١٤) ــ الوليّ (١٥)

---

(١) ورد بلفظ " شهيد " ٩ مرات في أسماء الله تعالى وهي آل عمران/ ٩٨ ، والمائدة /١١٧ ، والأنعام/ ١٩ ، ويونس/ ٤٦ ، والحج/ ١٧ وسبأ/ ٤٧ ، وفصلت/ ٥٣ ، والمجادلة/ ٦ ، والبروج /٩ ، ٦ مرات في غير أسماء الله وهي : البقرة /٢٨٢ ، والنساء /٤١ ، وفصلت/ ٤٧ ، وقّ~ /٢١ ، ٣٧ والعاديات /٧ ، وبلفظ " شهيدًا " عشرين مرة منها إحدى عشرة مرة في أسماء الله هي : في النساء/ ٣٣ ، ٧٩ ، ١٦٦ والمائدة /١١٧ ، ويونس/ ٢٩ والرعد/ ٤٣ ، والإسراء/ ٩٦ ، والعنكبوت/ ٥٢ ، والأحزاب/ ٥٥ ، والأحقاف/ ٨ والفتح/ ٢٨ وفي غير الأسماء الحسنى : في البقرة/ ٤٣ والنساء /٤١ ، ٧٢ ، ١٥٩ والنمل/ ٨٤ ، ٨٩ { موضعان } والحج/ ٧٨ ، والقصص/ ٧٥ .

(٢) ورد بلفظ " عزيز " ثنتين وتسعين مرة كلها في أسماء الله عدا التوبة/ ١٢٨ ، هود /٩١ ، يوسف/ ٣٠ ، ٥١ ، ٧٨ ، ٨٨ وإبراهيم /٢٠ وفاطر/ ١٧ وفصلت/ ٤١ والدخان /٤٩ ، والقمر /٤٢ وبلفظ " عزيزًا " سبع مرات كلها في أسماء الله عدا الفتح/ ٣ وبلفظ الجمع " أعزة " مرتين في المائدة/٥٤ والنمل /٣٤ .

(٣) ورد بلفظ " عظيم " خمسة وثمانين مرة الوارد منها في الأسماء الحسنى ست مرات هي : في البقرة /٢٥٥ والشورى ٤ والواقعة/ ٧٤ ، ٩٦ والحاقة/ ٣٣ ، ٥٢ والباقي في غير الأسماء ، وبلفظ " عظيمًا " ثنتين وعشرين مرة ليس فيها من أسماء الله الحسنى شيء .

(٤) ورد بلفظ " عليم " مائة وأربعين مرة كلها في الأسماء عدا : يوسف /٥٥ والحجر/ ٥٣ والشعراء/ ٣٤ والذاريات /٢٨ وبلفظ " عليمًا " ثنتين وعشرين مرة كلها في الاسماء الحسنى .

(٥) ورد بلفظ " العلي " ثماني مرات كلها في الاسماء الحسنى عدا الزخرف ٤ وبلفظ " عليًا " ثلاث مرات في النساء/ ٣٤ ومريم/ ٥٠ ، ٥٧ وآية النساء فقط هي من الأسماء الحسنى .

(٦) ورد بلفظ " قدير " تسعًا وثلاثين مرة كلها في الأسماء الحسنى انظر المعجم المفهرس / ٦٤٦ وبلفظ " قديرًا " ست مرات كلها أيضًا في الأسماء الحسنى .

(٧) ورد بلفظ " قريب " سبع عشرة مرة ، فقط منها في الأسماء الحسنى ثلاثة هي : البقرة /١٨٦ ، وهود /٦١ ، وسبأ /٥٠ وبلفظ " قريبًا " تسع مرات ليس فيها شيء من الأسماء الحسنى .

(٨) ورد بلفظ " كبير " تسع عشرة مرة الوارد منها في الأسماء الحسنى : الرعد/ ٩ والحج/ ٦٢ ولقمان/ ٣٠ وسبأ/ ٢٣ وغافر/ ١٢ ، وبلفظ " كبيرًا " سبع عشرة مرة الوارد منها فقط في الأسماء الحسنى النساء/ ٣٤ .

(٩) ورد بلفظ " كريم " ثلاثًا وعشرين مرة ، الوارد منها في الأسماء الحسنى : النمل/ ٤٠ والانفطار/ ٦ انظر المعجم المفهرس / ٧٠٦ وبلفظ " كريمًا " أربع مرات ، ليس فيها شيء من الأسماء الحسنى .

(١٠) ورد بلفظ " لطيف " ست مرات كلها في أسماء الله الحسنى هي : الأنعام/ ١٠٣ ويوسف /١٠٠ والحج/ ٦٣ ولقمان/ ١٦ والشورى/ ١٩ والملك/ ١٤ وبلفظ " لطيفًا " ورد مرة واحدة في قوله تعالى : " إن الله كان لطيفًا خبيرًا " الأحزاب/ ٣٤ .

(١١) ورد بهذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاث مرات هي : قوله تعالى : " وأملي لهم إن كيدي متين " الأعراف/ ١٨٣ وقوله تعالى : " إن الله هو الرزّاق ذو القوة المتين " الذاريات/ ٥٨ وقوله تعالى : " وأملي لهم إن كيدي متين " القلم/ ٤٥ .

(١٢) ورد بهذا اللفظ في القرآن الكريم أربع مرات هي : قوله تعالى : " إنه حميد" مجيد " هود/ ٧٣ وقوله تعالى : " قّ~ والقرآن المجيد " قّ~ ١ وقوله تعالى : " ذو العرش المجيد " البروج/ ١٥ وقوله تعالى : " بل هو قرآن مجيد" " البروج/ ٢١

(١٣) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " في مقعد صدق عند مليك مقتدر " القمر ٥٥ .

(١٤) ورد بلفظ " وكيل " إحدى عشرة مرة ، الوارد منها في الأسماء الحسنى : آل عمران/ ١٧٣ والأنعام/ ١٠٢ وهود /١٢ ويوسف /٦٦ والقصص/ ٢٨ والزمر/ ٦٢ وبلفظ " وكيلا " ثلاث عشرة مرة ، الوارد منها في الأسماء الحسنى : النساء/ ١٣٢ ، ١٧١ ، والإسراء/ ٦٥ والأحزاب/ ٣ ، ٤٨ والمزمل/ ٩ انظر المعجم المفهرس / ٨٥٢

(١٥) ورد بلفظ " وليّ " عشرين مرة كلها في الأسماء الحسنى عدا فصلت ٣٤ وبلفظ " وليًا " ثلاث عشرة مرة كلها في الأسماء الحسنى ماعدا : النساء/ ٧٥ ، ١١٩ والكهف/ ١٧ ومريم/ ٥ ، ٤٥ والأحزاب/ ١٧ ، ٦٥ والفتح/ ٢٢ انظر المعجم المفهرس / ٨٥٥

أثر المبالغة في بعض هذه الأسماء :

أولاً : اسم الله " البصير " :

((ابـن الأثـير : فـي أسماء الله تعالى " البصير " ، هو الذي يشاهد الأشـياء كلهـا ظاهرها وخافيها بغير جارحة ، البصر عبارة في حقه عن الصفة التي ينكشف بها كمال نُعوت المُبصرات)) (١) .

ولفـظ " بصـير " بهـذه الصيغة يدل على مدى تناهي إحاطة الله ، وإدراكـه للخفيات ، والبواطن ، والأسرار ، كما أنه من جهة أخرى يعطي معنى " العالِم بكنه الشيء الخبير به " (٢) .

فمهمـا عمل الإنسان من عمل ، فإن الله بصير '' به من حيث مبتدؤه ومنتهاه ، ومن حيث نية المرء فيه ، كذلك من جهة إخلاص العمل ، ومدى توجُّـه القصـد فـيه إلى الله ، ومن هنا فإن الصيغة تحمل دلالات خفيـة بالوعـيد ؛ إذ إن الأمر مادام على هذا النحو فينبغي تجويد العمل وإحسانه ؛ لأنـه سـيُعرض على " بصير " ــ سبحانه ــ كما جاء في الأثر " وأخلص العمل فإن الناقد بصير " .

ثانيًا : اسم الله " الحسيب " .

في أسماء الله تعالى الحسيب ، فعيل '' بمعنى مُفْعِل أو بمعنى " فاعل " حُوِّل للمبالغة في الحُسبان (٣) .

((وقـال أبـو إسحاق في قوله ــ عز وجل ... وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا)) : يكون بمعنى محاسبًا ، ويكون بمعنى كافيًا ، وقال في قوله تعالى : " إن الله كـان على كل شيء حسيبًا " أي يُعطي كُلَّ شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يُحسبهُ أي يكفيه " (٤) .

---

(١) لسان العرب مادة (ب . ص . ر) .
(٢) أبو السعود ١ / ١٣٣
(٣) انظر لسان العرب مادة (ح . س . ب) والبحر ٣ / ١٨٢
(٤) لسان العرب مادة (ح . س . ب) .

ومن دلالات هذا الاسم العظيم أنه سريع الحساب ، وأسرع الحاسبين ، ومرجع كل محاسب ، وحساب ، ومجازٍ على عملٍ ، ومُثيب على فعل ، ومعاقب على ذنب إنما إلى الله ــ عز وجل ــ وفيه إشارة بالوعيد إذا كان الأمر بهذه الحال فلا تخالفوا ما أمرتم به ولا تتجاوزا ما حدَّ لكم ؛ فالحسيب في النهاية هو الله ــ سبحانه .

ثالثـًا : اسم الله " اللطيف " .

(اللطيف : صفة من صفات الله واسم'' من أسمائه ، وفي التنزيل العزيز : " الله لطيف'' بعباده " (١) وفيه : " وهو اللطيف الخبير " (٢) ومعناه . والله أعلم الرفيق بعباده . قال أبو عمرو : اللطيف الذي يُوصِّل إليك أربَك في رفق ، واللطف من الله ــ تعالى ــ التوفيق والعصمة ، وقال ابن الأثير في تفسيره : اللطيف هو الذي اجتمع له الرِّفق في الفعل ، والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلى من قدَّرها له من خلْقِهِ) (٣) .

وقال الراغب الأصفهاني : (قد يُعبَّر باللطائف عمَّا لا تدركه الحاسة ، ويصح أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه ، وأن يكون لمعرفته بدقائق الأمور ، وأن يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم ... وقد يُعبَّر عن التُحَف المتوصل بها إلى المودة باللُطف ، ولهذا قال : " تهادوا تحابوا " (٤) وقد ألطف فلان'' أخاه بكذا) (٥) وقال ابن عاشور : (وإن اعتبر " اللطيف " اسم فاعل من لطَف ــ بفتح الطاء ــ فهو من أمثلة " **المبالغة** " يدلُّ على وصفه تعالى بالرفق والإحسان إلى مخلوقاته ، وإتقان صنعه في ذلك وكثرة فعله ذلك ، فيدلّ على صفة من صفات الأفعال وعلى هذا المعنى حمله سائر المفسرين والمُبيِّنين لمعنى اسمه " اللطيف " في عداد الأسماء الحسنى) (٦)

---

(١) الشورى / ١٩
(٢) الأنعام / ١٠٣ ، والملك / ١٤
(٣) لسان العرب مادة (ل . ط . ف) .
(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ٥٩٤
(٥) المفردات / ٧٤٠
(٦) التحرير والتنوير مجلد ٤ ٧ / ٤١٧

ومن فيوضات اسم الله " اللطيف " إيصال الإحسان إلى العباد من حيث لا يعلمون ويُسبِّب لهم المصالح والمنافع ، ويمنحهم المنن والعطايا من حيث لا يحسبون ؛ إذ لا يستشعر العبد إلا وهو ينقلب من حالٍ إلى حال وينقلب في رفد الله وعطائه ، وربما لا يتساءل : أنَّى لي كل هذا ولم أقدِّم ما يستوجب هذه العطايا وذلك من شدة اللطف ودِقَّة إيصال النعم ، وما ذلك إلا بمحض لطف اللطيف سبحانه !

٢- ما ورد منها وصفًا للأنبياء

ورد من صيغة "فَعيل " ـ وصفًا للأنبياء ستة أمثلة : هي :

بشير ـ عصيًا (في سياق النفي) ـ كظيم ـ المسيح ـ نذير ـ تقيًا .

أولاً : بشير

ورد هذا اللفظ في القرآن بهذه الصيغة خمس مرات (١) ، وجاء بلفظ " بشيرًا " أربع مرات (٢) .

(البشير : المُبشِّر) (٣) كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسلناكَ بِشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٤)

أي تُبشِّرَ المؤمنين بالجنة ، وتُنذر الكافرين بالنار ، وقد أشار أبوحيَّان إلى الحسن في صيغة المبالغة " بشير " وكذلك " نذير " كما فطن إلى لمح

---

(١) هي : قوله تعالى : " أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير " المائدة / ١٩ .
وقوله تعالى : " فقد جاءكم بشير'' ونذير والله على كل شيء قدير " المائدة / ١٩ .
وقوله تعالى : " إن أنا إلا نذير'' وبشير'' لقوم يؤمنون " الأعراف / ١٨٨
وقوله تعالى : " ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير'' وبشير " هود/ ٢
وقوله تعالى : " فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتدّ بصيرًا " يوسف/ ٩٦
(٢) هي : قوله تعالى : " إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا " البقرة ١١٩
وقوله تعالى : " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا " سبأ/ ٢٨
وقوله تعالى : " إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا وإن من أمة إلا جاء فيها نذير " فاطر/ ٢٤
وقوله تعالى : " بشيرًا ونذيرًا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون " فصلت ٤
(٣) المفردات / ١٢٦
(٤) البقرة / ١١٩

المفارقــة اللطيفة بين اللفظين فقال : (عدل إلى فعيل **للمبالغة** ؛ لأن فعيلاً من صفات السجايا ، والعدل في " بشير " **للمــبالغة** " مقيس عند سيبويه " إذا جعلنــاه من بشر ، لأنهم قالـــــوا " بشر " مخففــًا ، وليس مقيســًا فــي " نذيــر " ؛ لأنــه من أنذر ، ولعل مَحْسن العدل فيه كونه معطوفــًا على ما يجــوز ذلــك فــيه ؛ لأنه قد يسوغ في الكلمة مع الاجتماع مع مايقابلها ما لايسوغ فيها لو انفردت) [١] .

ثانيــًا : عصيــًا (في سياق النفي) :

ورد فــي القرآن الكريم مرتين هما : قوله تعالى : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [٢] .

وقــوله تعــالى : ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ [٣]

والآيــة الأولى فقط هي التي تدخل في مبحثنا بينما الآية الثانية ستأتي بعد في مبحث " فيما ورد وصفــًا للجن والشياطين " .

فقد كان نبي الله يحيى ــ عليه السلام ــ برًا بوالديه بما حباه الله وأيَّده في قوله تعالى : ﴿ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ [٤]

هذا إضافة إلى أنه " لم يكن جبَّارًا عصيــًا " قال أبو حيـــــــَّان : (" ولم يكن جبــَّارًا " أي متكبرًا ، " عصيــًا " أي عاصيــًا ، كثير العصيان وأصــله : عَصُوي فعول للمبالغة ، ويحتمل أنه يكون فعيلاً وهي من صيغ **المبالغة**) [٥]

وكمــا هو الشأن ــ دائمًا ــ في نفي صيغة المبالغة ــ كما مر بنا في قــوله تعالى : ﴿ ليس بظلاَّم ﴾ [٦] ، وقوله تعــالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [٧]

---

(١) البحر المحيط ١ / ٥٣٨
(٢) مريم / ١٤
(٣) مريم / ٤٤
(٤) مريم / ١٣
(٥) البحر المحيط ٦ / ١٦٨ (٦) آل عمران/ ١٨٢ (٧) مريم/ ٦٤

إن النفي ليس مخصوصًا بنفي الكثرة وإثبات الأصل وإنما نفي الجميع قال الصاوي معقبًا على كلام الجلالين : (" قوله عاصيًا لربه " أشار بذلك إلى أن المبالغة ليست مرادة ، بل المنفي أصل العصيان لا المبالغة فيه) (١)

قد أوجز " الألوسي " هذا المعنى فقال : (والمراد المبالغة في النفي لا نفي المبالغة) (٢) .

ثالثًا : كظيم :

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاث مرات (٣)

(رجل مكظوم وكظيم : مكروب'' قد أخذ الغمُّ بكَظَمِهِ) (٤)

وقال أبو حيَّان : " والكظيم إما للمبالغة وهو الظاهر اللائق بحال " يعقوب " أي : شديد الكظم ، كما قال : " والكاظمين الغيظ " (٥)

ولم يشكُ " يعقوب " إلى أحد وإنما كان يكتمه في نفسه ، ويمسك همّه في صدره ، فكان يكظمه ، أي : يرده إلى قلبه ولا يرسله بالشكوى ، والغضب والضجر ، إما أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول ، وهو لا يقاس ، وقاله قوم'' كما قال في يونس : " إذ نادى وهو مكظوم " (٦) .

قال ابن عطية : وإنما يتجه على تقدير : إنه مليء بحزنه ، فكأنه كظم حزنه في صدره ، وفسَّر ناس'' الكظيم بالمكروب وبالمكمود ، وروي أنه ما جفت عيناه من فراق يوسف إلى لقائه ثمانين عامًا ، وإنَّ وَجْده عليه وُجْد سبعين ثكلى ، وأجْره أجر مائة شهيد) (٧) .

---

(١) الصاوي على الجلالين ٣ / ٢٨

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي دار إحياء التراث العربي ـ ط الرابعة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م ١٦ / ٧٣ .

(٣) هي قوله تعالى : " وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم " يوسف/ ٨٤
وقوله تعالى : " وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظل وَجْهُهُ مُسْوَدًا وهو كظيم " النحل/ ٥٨
وقوله تعالى : " ظل وجهه مسودًا وهوكظيم " الزخرف ١٧
على أن الموضع الأول فقط هو وصف لنبي الله " يعقوب " عليه السلام ، والموضعان الآخران خارجان عن مبحثنا .

(٤) لسان العرب مادة (ك . ظ . م) .

(٥) آل عمران /١٣٤

(٦) القلم/ ٤٨ (٧) البحر المحيط ٥ / ٣٣٣ ، ٣٣٤

ويحوي اللفظ بصيغة " المبالغة " دلالات التكتم الشديد للحزن وهو في الوقت نفسه مشحون بمعانٍ حِسّية ما أسرعها في مُخيّلة الإنسان العربي في بيئته العربية العريقة ؛ إذ اللفظ مأخوذ من " كظم السقاء " إذا شده بعد ملئه أو هو مأخوذ " من كظم الغيظ " إذا اجترعه ، وأصله كظم البعير جرته إذا ردها في جوفه " (١) .

رابعـًا : المسيح :

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة (٢)

كما في قوله تعالى : ﴿ اسمه **المسيح** عيسى بن مريم ﴾ (٣)

واختلف في المراد من هذا اللفظ على أقوال (٤) منها : أنه كان لا يمسح بيديه ذا عاهة إلا برئ (فعلى هذا يكون " فعيل " مبنيـًا **للمبالغة** كعليم ويكون من الأمثلة التي حُوِّلت من " فاعل " إلى " فعيل " **للمبالغة**) (٥) .

ولا ريب أن عطاء " اللفظ " { المسيح } مع اختلاف المراد يمنح المتلقي قدرًا من الثراء الدلالي الفياض ، وحيويةً في المفردات عزَّ وجودها في ألفاظ اللغة وعناصرها الفاعلة دلاليـًا مما يكشف في جلاء عن الكثرة الكاثرة لمنة الله ــ عز وجل ــ على عبده ورسوله عيسى بن مريم ، ومهما يكن من أمرٍ فقد كان عليه السلام ميمونـًا ، محفوفـًا بعناية الله خلقـًا وتَطَهُّرًا وسعيـًا في الأرض لنشر الدعوة ثم رفعًا بعد ذلك إليه ــ سبحانه ــ حتى أضحى هو وأمُّه معجزةً وآيةً للعالمين .

---

(١) البيضاوي ١ / ٤٩٣ ، وانظر روح المعاني ١٣ / ٤٠ ، ٤١

(٢) هي : آل عمران/ ٤٥ ، النساء/ ١٥٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ والمائدة /١٧ { موصوفان } ، ٧٢ { موصوفان } ، ٧٥ والتوبة /٣٠ ، ٣١ .

(٣) آل عمران /٤٥

(٤) من هذه الأقوال : أنه سمي المسيح ، لأنه مُسح بالبركة .. أو بالدهن الذي يمسح به الأنبياء ، أو للتطهير من الذنوب . أو المسحة من الأقذار التي تنال المولودين ويكون " فعيل " بمعنى " مفعول " ، أو لمسحه الأرض ولم يقم في موضع ، أو لأنه كان امسح الرِّجل وليس لرجله أخمص ، أو لأنه كان " مشوجًا " بالعبرانية ، فعُرِّب ، فقيل : المسيح وكذا موسى كان موشى .
انظر البحر المحيط ٤٨٠ ، ٤٨١ وأباالسعود ٢ / ٣٦ ، ٣٧ والمحرر الوجيز ٢ / ٤٢١ ، ٤٢٢ والتحرير والتنوير ٣ / ٢٤٦ ولسان العرب مادة (م . س . ح) . والمفردات /٧٦٧

(٥) البحر المحيط ٢ / ٤٨١

خامسًا : نذير :

ورد في القرآن بلفظ " نذير " إحدى وثلاثين مرة [١]

وبلفظ " نذيرًا " اثنتي عشرة مرة [٢]

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٣]

(والنذير : المُنذِر ويقع على كل شيء ، فيه إنذار ؛ إنسانًا كان أو غيره) [٤].

وأعظم ما يُنذَر به الكافرون النارَ ، ولا يخفى ما ذكرته في " لفظ " بشير " من المفارقة الجليَّة بين البشارة بالجنة والنذارة بالنار .

وصيغة " نذير " للمبالغة من صفات السجايا [٥].

سادسًا : تقيًا :

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاث مرات [٦]

منها قوله تعالى : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ [٧]

الوصف لنبيّ الله يحيى ـ عليه السلام فقد كان مجبولاً على التقوى وجيئ بصيغة " تقيًا " للدلالة على تمكنه في الوصف (قال قتادة لم يهم قط بكبيرة ولا صغيرة ولا همّ بامرأة وقال ابن عبَّاس : جعله متقيًا لا يعدل به غيره ، وقال مجاهد : كان طعامه العشب المُباح ، وكان للدمع في خديه مجارٍ بائنةٍ) [٨].

---

(١) انظر المعجم المفهرس /٧٨٧

(٢) هي : البقرة /١١٩ والإسراء/ ١٠٥ والفرقان/ ١ ، ٧ ، ٥١ ، ٥٦ والإحزاب/ ٤٥ وسبأ/ ٢٨ وفاطر/ ٢٤ وفصلت/ ٤ والفتح/ ٨ والمدثر/ ٣٦ .

(٣) البقرة/ ١١٩

(٤) المفردات /٧٩٨

(٥) انظر البحر المحيط ١ / ٥٣٨

(٦) هي : قوله تعالى : " وحنانًا من لدنا وزكاة وكان تقيًا " مريم/ ١٣
وقوله تعالى : " قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا " مريم/ ١٨
وقوله تعالى : " تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيًا " . مريم /٦٣
والموضع الأول فقط المراد في المبحث .

(٧) مريم/ ١٣

(٨) البحر المحيط ٦ / ١٦٨

obeikandi.com

هـذه الـتقوى بهذا التميُز في الصيغة ، والتحـوُل عن صيغة " اسم الفـاعل " إلى صيغة " المبالغة " إنما هي ثمرة منن الله وعطاياه على عبده ونبيه يحيى بن زكريا ــ عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ــ إذ قال عزّ من قائل : " وآتَيْناه الحُكمَ صَبِيًا " (١) .

وهـو الفهم في التوراة ، والفقه في الدين عن ابن عباس ، وقيل دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبيٌ فقال : " ما لِلعب خُلقنا " ، وقيل النبوة ؛ لأن الله أحكم عقله في صباه وأوحى إليه (٢) .

ومن هنا حقَّ له أن يبلغ أعلى درجات السموّ والرِّفعة وأسمى مقامات التقوى واليقين .

٣- ما ورد منها وصفـًا للنفس

ورد مـن صيغة " فَعيل " ــ وصفـًا للنفس مثال '' واحد '' في القرآن الكريم بلفظ " خصيمًا " (٣) ومثالان بلفظ " خصيم " (٤) .

الخصـيم : الكثير المخاصمة ، من صفات **المبالغة** من خصم بمعنى اختصم أو بمعنى مخاصم كالخليط والجليس (٥) كما في قوله تعـالى : ﴿ فـإذا هو خصيم مبين ﴾ (٦) قال الزمخشري : (فيه معنيان أحدهما : فإذا هـو منطيق يجادل عن نفسه ، مكافح '' للخصوم مبين '' للحجة بعد ما كان نطفـة '' مـن منـيٍ جمادًا لا حسَّ به ، ولا حركة دلالةً على قـدرته ، والثـانـي : فإذا هو خصيم لربه مُنكر '' على خالقه قائل من يُحيي العظام وهـي رمـيم وصفًا للإنسان بالإفراط في الوقاحة ، والجهل ، والتمادي في كفران النعمة) (٧) .

وهكذا الإنسان إما مجادل '' منطيق ، مُبين '' للحجة ، مكافـح ''

---

(١) مريم/ ١٢
(٢) انظر الكشاف ٢ / ٤٠٧
(٣) في قوله تعالى : " ولا تكن للخائنين خصيمًا " النساء/ ١٠٥
(٤) هما : قوله تعالى : " خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين '' " النحل/ ٤
وقوله تعالى : " أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفةٍ فإذا هو خصيم '' مبين " يس~/ ٧٧
(٥) انظر المفردات / ٢٨٥ ، والبحر المحيط ٥ /٤٦٠
(٦) النحل/ ٤ ، ويس~/ ٧٧
(٧) الكشاف ١ / ٢٩٧

للخصوم وهذا وصفُ مدح ،مُشعر '' بالامتنان في إعطاء القدرة على الاستدلال والبيان . وإما مخاصم كفار '' ، جحود لخالقه ،مُنكر '' لآلاء نعمه ــ سبحانه ! وهذا مقام ذم للكفر بالنعمة ، وتحويل منن الله في الإبانة إلى الخصومة واللجاج كما قال تعالى : " بل لجوا في عُتوٍّ ونفور " (١)

فأضحت النعمةُ نقمةً ، وصار الزين شيئًا والمنالَ وبيلاً .

٤- ما ورد منها وصفًا للعصاة والكافرين

ورد من صيغة "فَعيل" ــ وصفًا للعصاة والكافرين مثالان هما : أثيم ــ غويّ

الأول : أثيم :

ورد في القرآن الكريم ست مرات (٢) بلفظ " أثيم " كقوله تعالى : ﴿ والله لا يحبُ كلَّ كفَّارٍ أثيمٍ ﴾ (٣)

وبلفظ " أثيمًا " مرة واحدة هي قوله تعالى : ﴿ إنَّ الله لا يُحبُّ مَن كانَ خَوَّانًا أثيمًا ﴾ (٤)

الأثيم : المبالغ في الإثم ، المنهمك في ارتكابه .

قال الألوسي في شرح آية البقرة : (" أثيم " منهمك في ارتكابه .. واختيار صيغة **المبالغة** للتنبيه على فظاعة آكل الرِّبا ومستحله وقد ورد في شأن الرِّبا وحده ما ورد فكيف حاله مع الاستحلال ؟! أعاذنا الله تعالى من ذلك) (٥) .

المثال الآخر : غويّ :

ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَه مُوسى إنَّك لَغَوِيّ '' مبين '' ﴾ (٦)

---

(١) الملك/ ٢١
(٢) في البقرة/ ٢٧٦، والشعراء/ ٢٢٠ ، والدخان/ ٤٤ ، والجاثية/ ٧ ، والقلم/ ١٢ والمطففين/١٢
(٣) البقرة/ ٢٧٦
(٤) النساء/ ١٠٧ (٥) روح المعاني ٣ / ٥٢ (٦) القصص/ ١٨

و الغــويّ : شــديد الضلالة ، كثير الإغواء ، ذلك لأنه تسبَّب في قتل رجل أمس ِ وهو الآن يدعو موسى لقتال رجل ٍ آخر ، وإنما قال له ذلك على سبيل العتاب والتأنيب (١) .

٥- ما ورد منها وصفـًا للجنّ والشياطين

ورد من صيغة "فَعيل " ــ وصفـًا للجن والشياطين مثالان هما :

عصيـًّا ــ مريد

الأول : عصيًّا :

ورد في القرآن الكريم في موضعين الأول مرَّ بنا في نفي هذه الصفة عــن نبــي الله يحيى ــ عليه السلام ــ في قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (٢)

والموضــع الثاني : وهو المــراد في مبحثنا هذا في قوله تعــالى : ﴿ يَا أَبَتِ لا تعبدِ الشيطانَ إِنَّ الشيطانَ كان للرحمنِ عَصِيًّا ﴾ (٣) .

وهو إثبات هذه الصفة للشيطان حيث انطباعه على العصيان ، وتماديه في العتوّ والطغيان وأصل " عصيًّا " فَعول **للمبالغة** ، ويحتمــل أن يكــون "**فَعيلاً** " وهي من صيغ **المبالغة** (٤) .

المثال الآخر : مَريد :

ورد في القرآن الكريم بلفظ "مَريدًا " مرة واحدة في قوله تعالــى : ﴿ وإِن يَدْعُون إلا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾ (٥) .

وبلفــظ " مــريد " أيضًا ورد مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ ويتبع كل شيطان مريد ﴾ (٦) .

---

(١) انظر البحر المحيط ٧ / ١٠٦ ، وأبا السعود ٧ / ٧ ، والقرطبي ٧ / ٥١٥١
(٢) مريم/١٤
(٣) مريم/ ٤٤
(٤) انظر البحر المحيط ٦ / ١٦٨
(٥) النساء/ ١١٧ (٦) الحج/ ٣

و(المـــريد : فـــي شياطين الإنس والجن ، وقد تمرَّد علينا أي عتا ، ومَـرَد علـــى الشـــر وتَمـــرَّد ، أي عتا وطغى ، والمريد : الخبيث المتمرِّد الشـــرير . وشيطان'' مارد'' ومريد'' واحد . قال ابن سيدَه : والمريد يكون من الجن والإنس وجميع الحيوان) (١)

فـــي الصاوي على الجلالين : (مريدًا : أي متمردًا بمعنى بلغ الغاية في العتوّ والفجور لخروجـــه عن طاعـــــة ربه حتى أمر الناس بعبادة غير الله) (٢).

٦- ما ورد منها وصفـًا للنـــــــار

ورد مـــن صـــيغة "فَعيل " ــ وصفـًا للنار لفظ'' واحد هو " حميم " حيث ورد في القرآن الكريم بلفظ " حميم " سبع عشرة مرة (٣).

وبلفظ " حميمًا " ورد ثلاث مرات (٤).

ولفظ " الحميم " له ثلاثة معان :

- الحميم : القريب . - والحميم : الماء شديد الحرارة .

- والحميم : المطر الذي يأتي في الصيف حين تسْخُن الأرض (٥).

وجاء في القرآن الكريم بالمعنيين الأولين فقط ، والمراد ــ هنا ــ في هـــذا المبحث المعنى الثاني إذ هو وصف'' لشدة حرارة هذا الماء الذي بلغ من الغليان الدرجة التي يتجرجر في بطونهم وتتقطع به أمعاؤهم حتى قيـــل ((إذا دنا منهم (هذا الماء المستعر) شوى وجوههم ، وانمارت فروة رؤسهم فإذا شربوه قطع أمعاءهم)) (٦).

---

(١) لسان العرب مادة (م . ر . د) .
(٢) الصاوي على الجلالين ١ / ٢١٤
(٣) هي في الأنعام ٧٠ ويونس ٤ والحج ١٩ والشعراء ١٠١ والصافات ٦٧ وص- ٥٧ وغافر ١٨ ، ٧٢ وفصـــلت ٣٤ والدخـــان ٤٦ ، ٤٨ والرحمـــن ٤٤ والواقعـــة ٤٢ ، ٥٤ ، ٩٣ والحاقة ٣٥ والمعارج/ ١٠ انظر المعجم المفهرس لمحمد فؤاد عبد الباقي /٢٦٩ .
(٤) هي في محمد/ ١٥ والمعارج/ ١٠ والنبا/ ٢٥
(٥) انظر لسان العرب مادة (ح . م . م) .
(٦) أبو السعود ٨ / ٩٦

٧- ما ورد منها لمعـان شتىً

ورد من صيغة "فَعيل" لهذه المعاني : أربعة ألفاظ هي :

الأمين ـــ بليغـًا ـــ نسيًّـا ـــ نصيرًا .

الأول : الأمـين :

ورد في القرآن الكريم أربع عشرةَ مرةَ (١) كمـا قال تعالـى : ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾ (٢)

الصـيغة للمـبالغة ، أي آمن" مَنْ فيه ، ومَنْ دخله ومافيه من طير وحيوان . أو من أمن الرجل أمانةً فهو أمين ، ويجوز أن يكون بمعنى مفعول من أمنه ؛ لأنه مأمون الغوائل (٣).

الثاني : بليغـًا :

ورد فـي القـرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ وَقُل لَهُم في أنفسِهم قَوْلاً بلِيغَـا ﴾ (٤)

قال ابن منظور : (البلاغة : الفصاحة . والبَـلْغ والبـِلْغ : البليغ من الـرجال ، ورجل" بليغ" وبلْغ" وبِـلْـغ" : حَسَنُ الكلام فصيحُه يَبْـلُغُ بعبارة لسانهِ كُنْـهَ ما في قلبه) (٥) فقـد أُمـر النبي ـ صلى الله عليه وسـلم ـ أن يـبالغ في وعظ هؤلاء المنافقين ، وأن يبذل قُصارى جَهْده في تخويفهـم وزجـرهم ، عسى أن يتغلغل في نفوسهم هذا القول المؤثر البليغ فـيرتدعوا ، ويـرعووا وأن يخبرهم " أن ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلـوم عـند الله وأنـه لا فرق بينكم وبين المشركين ، وما هذه المكافة إلا لإظهـاركم الإيمـان وإسراركم الكفر ، وإضماره ، فإن فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق إلا السيف) (٦).

---

(١) هـي فـي الأعراف/ ١٨ ويوسف/ ٥٤ والشعراء/ ١٠٧ ، ١٢٥ ، ١٤٣ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ١٩٣ والنمل/ ٣٩ والقصص/ ٢٦ والدخان/ ١٨ ، ٥١ والتكوير/ ٢١ والتين/ ٣ .

(٢) التين/ ٣

(٣) انظر البحر المحيط ٨ / ٤٨٦

(٤) النساء/ ٦٣ (٥) لسان العرب مادة (ب . ل . غ) (٦) الكشاف ١ / ٢٧٧

الثالث : نسيًـا :

ورد فـي القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كان ربُّك نَسِيًّـا ﴾ (١)

قـال ابـن منظور : (النَسيَّ : الكثير النسيان ، يكون فعيلاً وفعولاً وفعـيل'' أكـثر ... وفي التنزيل العزيز : ﴿ وما كان ربُّك نسيًّـا ﴾ أي لا يَنسَى شيئـًا . قال الزجاج : وجائز أن يكون معناه ــ والله أعلم ــ ما نسيك ربك يا محمد ، وإن تأخر عنك الوحي) (٢).

وقـال ابن عاشور : (" نسيًّـا " صيغة **مبالغة** من نَسِيَ ، أي : كثير النسيان أو شديده ... فيتعين صرف **المبالغة** إلى جانب نسبة نفي النسيان عن الله ، أي تحقيق نفي النسيان مثل **المبالغة** في قوله : ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ فهـو هنا كناية عن إحاطة علم الله . أي أن تنزلنا بأمر الله لما هو وفق علمـه وحكمته في ذلك ، فنحن لا نتنزل إلا بأمره وهو لا يأمرنا بالتنزل إلا عند اقتضاء علمه وحكمته أن يأمرنا به) (٣)

الرابع : نصيرًا :

ورد في القرآن الكريم بلفظ " نصير " إحدى عشرة مرة (٤).

كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لكم مِن دُون اللَّه من وليّ ولا نَصِير ﴾ (٥)

وورد بلفظ " نصيرًا " ثلاث عشرة مرة (٦).

كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَى بِاللَّه نَصِيرًا ﴾ (٧)

---

(١) مريم/ ٦٤

(٢) لسان العرب مادة (ن . س . ي) .

(٣) التحرير والتنوير مجلد ٨ ١٦ / ١٤٠

(٤) هـي في البقرة /١٠٧ ، ١٢٠ والأنفال /٤٠ والتوبة /٧٤ ، ١١٦ والحج /٧١ ، ٧٨ والعنكبوت/ ٢٢ وفاطر/ ٣٧ والشورى /٨ ، ٣١

(٥) البقرة /١٠٧

(٦) هـي فـي النساء ٤٥/ ، ٥٢ ، ٧٥ ، ٨٩ ، ١٢٣ ، ١٤٥ ، ١٧٣ والإسراء/ ٧٥ ، ٨٠ والفرقان/ ٣١ والأحزاب/ ١٧ ، ٦٥ والفتح / ٢٢

(٧) النساء /٤٥

قـــال أبـــو حيان في قوله تعالى : ﴿ و مالكم من دون الله من ولي و لا نصـــير ﴾ أتى بصيغة ولي وهو : فعيل **للمبالغة** ... وأتى بنصير على وزن فعيل لمناسبة وليّ في كونهما على فعيل ، ولمناسبة أواخر الآي ؛ ولأنه أبلغ من فاعل) [١] .

وقال ابن منظور : (النصير : فعيل'' بمعنى فاعل أو مفعول لأن كلّ واحد من المتناصرين ناصر'' ومنصور) [٢] .

ومن اللفتات البلاغية في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ **وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا** ﴾ [٣] تكرار قوله : " كفى بالله " وكذا تحول السياق من " وليّ " إلى " نصير " أما تكرار قوله " كفى بالله " ففيه **مبالغة** كما أشار ابـــن جـــزيّ الكلبي [٤] والظاهر أنه يعني التكثيف المنبعث من التكرار في تركـــيز الدلالة حول معنى الكفاية بالله مع ما يتضمنه ذلك من العبد من تمام الـــتفويض والتصـــديق ، وإنشـــاء الثقة الناجم من صِدْق اللـــجأ إلى الله ــ ســـبحانه : فهـــو لفت'' لطيف'' من ربٍّ قادرٍ عظيمٍ لإنسانٍ سُرعان ما تتـــنازعه المخاوف والأوهام ؛ بل ربما يصل الأمر في النهاية إلى التهديدات والـــتحذيرات ، وهـــنا وجـــب الركونُ إلى القوي المتين صدقـــًا لقول العبد اليومي المتكرر " إياك نستعين " .

أما التحول في السياق من " وليّ " إلى " نصير " فذلك لما بين اللفظين مـــن فرق " فالولي قد يضعف عن النصرة ، والنصير قد يكون أجنبيـــًا عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه) [٥] .

ملاحظات على صيغة "فَعيل"

١- ورد عـــدد أمثلة هذه الصيغة في القرآن الكريم تسعًا وثلاثين مرة وهي بهذا تعد ثاني أعلى صيغة من صيغ المبالغة بعد "فَعَّال" ورد لها أمثلة في القرآن الكريم .

---

(١) البحر المحيط ١ / ٥١٥

(٢) لسان العرب مادة (ن . ص . ر) .

(٣) النساء / ٤٥

(٤) انظر التسهيل ١ / ١٤٤

(٥) البيضاوي ١ / ٨١ وانظر الصاوي على الجلالين ١ /٤٨

٢- جاءت أمثلة الصيغة على النحو التالي :

(١) مـــا ورد منها اسمًا أو صفةً لله ــ عز وجـــل : أربعة وعشرون مثالاً.

(٢) ما ورد منها وصفًا للأنبياء : ستة أمثلة .

(٣) ما ورد منها وصفـًا للنفس : مثال'' واحد'' .

(٤) ما ورد منها وصفـًا للعصاة والكافرين : مثالان .

(٥) مـــا ورد منها وصفـًا للجن والشياطين : مثالان { إحداهما صيغة مكررة } .

(٦) ما ورد منها وصفـًا للنار وما فيها : مثال'' واحد'' .

(٧) ما ورد منها لمعانٍ شتَّى : أربعة أمثلة .

واللافـــت فـــي هذه النقاط أن اسم الله ــ عز وجل ــ مازال الأعلى نســـبة فـــي أمـــثلة صيغة "فَعيل" ، بل الأعلى نسبة في كل صيغ المبالغة .

فـــي الوقـــت الـــذي غابت عن هذه الصيغة بعض الأوصاف التي وجدناهـــا فـــي صيغة "فَعَّال" مثل وصف المؤمنين ووصف الجنة ووصف اليهود .

٣- صيغة "فَعيل" من الصيغ التي تستخدم بمعنى "فاعل" أو بمعنى "مفعول".

من الأمثلة التي استخدمت بمعنى فاعل : قدير وسميع وعليم .

ومـــن الأمـــثلة التـــي اســـتخدمت بمعنى مفعول : "المسيح" بمعنى الممسوح أي المدهون أو الممسوح من الذنوب ... إلخ .

ومن الأمثلة التي استخدمها المفسرون بالمعنيين : " الأمين " بمعنى " الآمن " و " المأمون " (١) ، وكذلك لفظ " كظيم " استُعمل بمعنى " فاعل " " كاظم " أي المشتمل على الحزن كقوله تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ (٢)

واستعمل بمعنى " مفعول " " مكظوم " أي المملوء من الحزن (٣) .

٤- لفظ " نصير " ليس من أسماء الله ، وإنما من أسماء الله " الولي " وهو اسم يتضمن من معانيه " النصير " .

٥- لفظ " عَصِيًّا " جاء في سياقين ، سياق النفي في نفي الصفة عن نبي الله يحيى ــ عليه السلام ــ . في قوله تعالى : ﴿ ولم يكن جبارًا عَصِيًّا ﴾ (٤)

وفي سياق الإثبات في إثباتها للشيطان ــ لعنه الله ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشيطانَ كان للرحمنِ عَصِيًّا ﴾ (٥)

٦- كلمة " حميم " من المشترك اللفظي وله ثلاثة معان ــ كما مَرَّ آنفًا .

---

(١) انظر البحر ٨ / ٤٨٦
(٢) آل عمران / ١٣٤
(٣) انظر القرطبي ٥ / ٣٥٨٣
(٤) مريم/ ١٤
(٥) مريم / ٤٤

(٣) صيغة فعول

وردت لصـــيغة " فعول " في القرآن الكريم نماذج متعددة ذات دلالات مختلفة على النحو الآتي :

١) ما ورد منها اسمًا أو صفة لله ــ عز وجل .

٢) ما ورد منها وصفـًا للأنبيـــاء .

٣) ما ورد منها وصفـًا لليوم الآخر .

٤) ما ورد منها وصفـًا للتوبة .

٥) ما ورد منها وصفـًا للماء .

٦) ما ورد منها وصفـًا للنفس .

٧) ما ورد منها وصفـًا للباطل .

٨) ما ورد منها وصفـًا للعصاة .

٩) ما ورد منها وصفـًا للجن والشياطين .

١٠) ما ورد منها وصفـًا لمعانٍ أخر .

١- ما ورد منها اسمًا أو صفة لله ــ عز وجل .

ورد مـــن أســـماء الله ــ عز وجل ــ وصفاته من هذه الصيغة خمسة أسماء هي : الرءوف (١) ــ الشكور (٢) ــ العفوّ (٣) ــ

---

(١) ورد لفـــظ " رءوف " في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة هي : البقرة/ ١٤٣ ، ٢٠٧ وآل عمران/ ٣٠ والتوبة/ ١١٧ ، ١٢٨ والنحل/ ٧ ٤٧ والحج/ ٦٥ والنور/ ٢٠ والحديد/ ٩ والحشر/ ١٠ كلها وردت في أسماء الله عدا التوبة/ ١٢٨ جاءت وصفـًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) ورد لفـــظ " شكور " في القرآن الكريم تسع مرات هي : إبراهيم /٥ ولقمان /٣١ وسبأ/ ١٣ ، ١٩ وفاطـــر/ ٣٠ ، ٣٤ والشـــورى/ ٢٣ ، ٣٣ والتغابـــن/ ١٧ لـــم يرد منها اسمًا لله إلا في أربعة مواضع هي فاطر/ ٣٠ ، ٣٤ والشورى/ ٢٣ والتغابن/ ١٧

(٣) ورد لفـــظ " عفـــوّ " مرتين : في الحج /٦٠ والمجادلة/ ٢ وبلفظ " عفوًا " ثلاث مرات : كلها في النساء/ ٤٣ ، ٩٩ ، ١٤٩ وكلها في الأسماء الحسنى .

obeikandl.com

ـــ غفورًا (١) ـــ ودود (٢) .

أثر المبالغة في بعض هذه الأسماء

أولاً : اسم الله " الرءوف " :

وجاءت المواضع كلها يقترن فيها اسم الله " الرءوف " باسمه " الرحيم " كقوله تعالى : ﴿ إن الله بالناس لرءوف'' رحيم'' ﴾ (٣)

قال ابن منظور : (الرأفة : الرحمة ، وقيل : أشدُّ الرحمة ... ومن صفات الله ـــ عز وجل ـــ الرَّءوف : وهو الرحيم لعباده ، العطوف عليهم بألطافه ، والرأفة أخصُّ من الرحمة وأرقّ) (٤)

وذكر ابن عاشور الفرق بين الرأفة والرحمة فقال : (الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وإزالة الضر كقوله تعالى : ﴿ وَلا تأخذكم بهما رَأفةٌ في دينِ اللَّهِ ﴾ (٥) وأما الرحمة فاسم'' جامع'' يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه الإفضال ، والإنعام) (٦) .

ومن فيوضات اسم الله " الرَّءوف " إبانة فيض العطف على العباد بألطافه ورأفته ، فما ألطف رحمة الله إذا قرنت برأفته ! وما أحوج العبد إذا كان الله ـــ بعزته ـــ رءوفًا به أن يرأف هو بعباد الله ، والأولى من ذلك أن يرأف بنفسه فلا يكلفها فوق الطاقة ، ولا يعرضها لما لا تطيق .

---

(١) ورد لفظ " غفور " في القرآن الكريم عشر مرات هي : الحديد/ ٢٨ ، المجادلة/ ٢ ، ١٢ والممتحنة /٧ ، ١٢ والتغابن /١٤ والتحريم / ١ والملك / ٢ والمزمل/ ٢٠ والبروج/ ١٤ وورد لفظ " غفورًا " عشرين مرةً هي : النساء /٢٣ ، ٤٣ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١٢٩ ، ١٥٢ والإسراء/ ٢٥ ، ٤٤ والفرقان /٦ ، ٧٠ والأحزاب/ ٥ ، ٢٤ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٧٣ وفاطر/ ٤١ والفتح/ ١٤ .

(٢) ورد لفظ " ودود " في القرآن الكريم مرتين هما : هود/ ٩ ، والبروج/ ١٤ .

(٣) البقرة / ١٤٣

(٤) لسان العرب مادة (ر . أ . ف) .

(٥) النور/ ٢

(٦) التحرير والتنوير ٢ / ٢٥

ثانيًا : اسم الله " الشكور " :

كقوله تعالى : ﴿ لِيُوَفِّيَهم أُجُورَهم وَيَزِيدَهم من فَضْلِهِ إِنَّه غفور'' شكورٌ ﴾ (١) .

(الشكر: عرفان الإحسان ونشره'' ، وهو الشكور أيضًا . قال ثعلب : الشكر لا يكون إلا عن يدٍ ، والحمد يكون عن يدٍ وعن غير يد ، فهذا الفرق بينهما . والشكر من الله المجازاة والثناء الجميل ... والشكور : من صفات الله ، جَلَّ اسمه ، معناه أن يزكو عنده القليل من أعمال العباد ، فيضاعف لهم الجزاء ، وشكره لعباده مغفرته لهم . والشكور : من أبنية **المبالغة** ، وأما الشكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وُظف عليه من عبادته) (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ من عبادِيَ الشَّكور﴾ (٣) . فيه تنبيه أن توفية الشكر لله أمر صعب ، ولذلك لم يُثن بالشكر على أوليائه إلا على اثنين ، قال في إبراهيم ــ عليه السلام ــ : ﴿ شاكرًا لأنعمه ﴾ (٤)

وقال في نوح : ﴿ إِنَّه كان عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (٥) وإذا وُصف الله بالشكر في قوله : ﴿ والله شكور'' حليم ﴾ (٦) فإنما يُعنى به إنعامه على عباده وجزاؤه بما أقاموا من العبادة (٧) .

ولن يبلغ العبدُ أن يكون شكورًا إلا إذا قابل النعمة بشكرها باللسان والجنان والجارحة ، والشكر مثل الحمد بَيْد أن الحمد أعم منه ، فإنك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفه ، ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته (٨) .

---

(١) فاطر/ ٣٠
(٢) لسان العرب مادة (ش . ك . ر) .
(٣) سبا/ ١٣
(٤) النحل/ ١٢١
(٥) الإسراء / ٣
(٦) التغابن / ١٧
(٧) انظر المفردات / ٤٦٢
(٨) انظر القول الأسنى / ١٣٠

ومـــن معاني اسمه الشكور : أنه هو الذي يفتح أبواب جنته لمن مات على التوحيد الخالص وإن قلَّ عمله تفضلاً منه ورحمة ، فإن الموحد شاكر لأنعمه على قـــدر وسعه وطاقته ، والله يشكره على قـــدر جلاله وكماله .

وأنـــه كذلك يبارك الحسنة القليلة وينميها لصاحبها ويتقبلها منه قبولاً حســـنـــًا . وهـــي قـــد لا تساوي شيئـــًا في أنظار الناس لكنها تَعْـــُظم عند الشكور بكرمه .

وأنـــه ســـاعة أن يجزي المحسنين لا يقتصر جزاؤه على الأخرة بل يســـعهم في الدنيا بلطفه وبره قال الله ــ عز وجل : ﴿ فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ﴾ (١)

وأنـــه هـــو الـــذي يجزي بالحسنة عشر أمثالها ويضاعفها أضعافـــًا مضـــاعفة ولا يجـــزي بالســـيئة إلا مثلها أو يعفو تكرمًا منه وفضلاً إنه غفور '' شكور '' (٢) .

ثالثـــًا : اسم الله " الوَدود " :

كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ '' وَدُودٌ ﴾ (٣) .

(ابـــن الأنباري : الودود في أسماء الله ــ عز وجل : المحب لعباده ، مـــن قولك : وَدِدْتُ الرَّجُل أوَدُّه وُدًّا ، و ودادًا . قال ابن الأثير : الوَدود في أســـماء الله تعـــالى ، فعول بمعنى مفعول ، من الودِّ المحبة . يُقال : وَدِدْتُ الـــرَّجل إذا أحببته ، فالله تعالى مودود ، أي محبوب في قلوب أوليـــــائه ؛ قـــال : أو هـــو فعـــول '' بمعنى فاعل ، أي يحبُّ عباده الصالحين ، بمعنى يرضى عنهم) (٤) .

---

(١) آل عمران /١٤٨

(٢) انظـــر أســـماء الله الحســـنى آثارها وأسرارها للدكتور / محمد بكر إسماعيل ــ دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ــ ط الأولى ١٤٢١هـــ ــ ٢٠٠٠م / ١٤٤ وما بعدها .

(٣) هود/ ٩٠

(٤) لسان العرب مادة (و . د . د) .

ولك أن تتساءل : ما دور بنية " المبالغة " في هذا الاسم ــ " الودود" ؟ ، وما ارتباطه بالتوبة ؟ .

أمـــا بنية " المبالغة " ودلالتها في السياق القرآني فالله ــ عز وجل ــ كمـــا قال الزمخشري : (عظيم الرحمة للتائبين ، فاعل'' بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الإحسان والإجمال) (١) .

فبلوغ مودة الله ــ عز وجل ــ هذا المنتهى ، وتلك السعة الفيَّاضة دافع لكـــل التائبين في التوبة ، والطمع في قبولها بما اتصف الله به سبحانه بمزيد اللطـــف والإحســـان والـــوداد ، ولعلك تلمح هذا المعنى متحققـــًا فيما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى : { أنا عند ظن عبـــدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ، ذكـــرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرّب إليَّ بشبرٍ ، تقربت إليه ذراعًا وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة } .

أما عن الصلات بين اسمي " الرحيم " و " الودود " فإن الودود : هو الـــذي يحب الخير لجميع الخلق ، فيحسن إليهم ويثني عليهم ، وهو قريب'' مـــن معنى الرحيم ، لكن الرحمة إضافة إلى مرحوم ، المرحوم هو المحتاج والمضـــطر ، وأفعال الرحيم تستدعي مرحومًا ضعيفـــًا ، وأفعال الودود لا تستدعي ذلك ، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود .

ومـــن دلالات اســـم الله " الودود " أن الصيغة أتت على وزن " فعُول" وهـــذه البنـــية تأتي بمعنى (فاعل) وتأتي أحيانـــًا بمعنى (مفعول) ، وقد أجـــرى المفســـرون دلالـــة اســـم الله " الـــودود " علـــى المعـــنيين ،

---

(١) الكشاف ٢ / ٢٣١

فعلى المعنى الأول : هو ــ سبحانه ــ "مُحب" لعباده المؤمنين التائبين ، وعلى المعنى الآخر : هو سبحانه " محبوب " من عباده يؤثرونه بالعبادة فيمتثلون أوامره ، ويجتنبون نواهيه (١) كما قال عزَّ من قائل : ﴿ وَالَّذين آمنوا أشدُ حبًّا لله ﴾ (٢).

وحَرِيٌّ بالمسلم أن يتعبَّد الله بهذا الاسم ، فمتى صار عبدًا ودودًا أحب لخلق الله ما يحبه لنفسه ، وإنْ سما وارتقى وتملكه الود آثرهم على نفسه ، فآثر مصلحتهم على مصلحته ، وقدَّم منفعتهم على منفعته وكمال ذلك ألا يْمَنعه الغضبُ عن الإيثارِ والإحسانِ.

٢ ــ ما ورد منها وصفًا للأنبياء .

ورد من صيغة "فَعول" وصفًا للأنبياء : مثالان : هما :

حصورًا ــ رءوف (٣)

الأول : " حصورًا " :

كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصَدِّقًا بِكَلِمةٍ من اللهَ وَسَيِّدًا **وحصورًا** وَنبِيًا من الصَّالحين ﴾ (٤).

الحصور : لغة من الحَصْر أي : الحبس والمنع (٥)

واختلف اللغويون والمفسرون في تفسير كلمة " حصورًا " على معانٍ منها :

---

(١) انظر الصاوي على الجلالين ٢ / ١٩٢ ، والبحر المحيط ٥ / ٢٥٥
(٢) البقرة/ ١٦٥
(٣) لفظ " مكرر " ورد في أسماء الله الحسنى وجاء وصفًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما اللفظ الأول " حصورًا " فقد جاء وصفًا لنبي الله يحيى ــ عليه السلام .
(٤) آل عمران / ٣٩
(٥) انظر لسان العرب مادة (ح . ص . ر) . ، والمحرر الوجيز ٢ / ٤٠٦

الأول : الذي لا يأتي النساء عن عدم قدرة . ولم يرتضِ هذا المعنى معظم المفسرين [١] بعد سوقه في كتبهم ؛ لأنه لا يليق بمقام النبوة .

الثاني : الذي لا يقرب النساء عِفَّةً ، واجتهادًا في دفع الشهوة . وهذا هو الأظهر في الآية والأليق بمكانة الأنبياء .

الثالث : المبالغ في حبس النفس عن الشهوات والملاهي [٢] .

الرابع : الهيوب المحجم عن الشيء [٣] وهذا أيضًا لا يليق بوصف الأنبياء .

الخامس : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر [٤] .

والراجح عند المفسرين هو الوجه الثاني ، وهو الأقرب للسياق القرآني ، والألصق بالدلالة ، وأعمّ منه الوجه الثالث ، فهو في المضمار ذاته ؛ حيث يعرض هذان الوجهان مدحًا ، وثناءً لنبي الله " يحيى " عليه السلام ــ في العِفَّة ، والطهارة ، والنقاء .

الآخر : " رءوف " [٥]

جاء في آية واحدة ــ وصفًا للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ هي قوله تعالى : ﴿ عزيزٌ عليه ما عَنِتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين **رءوفٌ** رحيمٌ﴾ [٦] .

قال الزمخشري : (لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في قوله " رءوف رحيم ") [٧] .

---

(١) انظر البحر المحيط ٢ / ٤٦٧ ، ٤٦٨ والمحرر الوجيز ٢ / ٤٠٦ والتحرير والتنوير ٣ / ٢٤١

(٢) انظر البيضاوي ١ / ١٥٨

(٣) انظر لسان العرب مادة (ح . ص . ر) .

(٤) انظر البحر المحيط ٢ / ٤٦٧ والكشاف ١ / ١٨٨

(٥) المواضع الإحدى عشرة المذكورة في القرآن الكريم لهذا اللفظ كلها في أسماء الله الحسنى عدا موضعًا واحدًا في سورة التوبة الآية الثامنة والعشرون بعد المئة .

(٦) التوبة/ ١٢٨

(٧) الكشاف ٢ / ١٧٩

obeikandi.com

فاتصـــاف النبيّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالوصفين المذكورين فيه دلالة على رفعة مقام النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عند ربه ، وعلو شأنه بين خلق الله ، ولا ضير فقد وصفه الله بالخلق العالي الرفيع في قوله عز من قائل : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ (١) .

٣ ــ ما ورد منها وصفـًا لليوم الآخر .

ورد من صيغة " فَعول " وصفـًا لليوم الآخر مثال'' واحد'' " وهو عبوس " في قوله تعالى : ﴿ إنّا نخافُ من ربنا يَوْمًا عبوسًا قمطريرًا ﴾(٢)

العُبُوس : قُـطُوب الوجه من ضيق الصدر (٣) أو هو كُـلُوح الوجه وعدم انطلاقه (٤) .

وفـــي الصيغة وسياقها نكات بلاغية لافتة منها : البنية الدالة على شدة اليوم ، وأهواله من اقتراب الشمس والصراط والعرض والميزان ... إلخ ثم نعـــت " البنية " بلفظ " قمطريرًا " الدال على بلوغ الغاية في الشدة والكرب ؛ لـــتزداد الدلالة شدةً على شدة ، أضف إلى ذلك المنحى البلاغي المتبلور في المجاز العقلي للكلمة ، فليس اليوم هو العابس ؛ بل وجوه الناس هي العابسة فـــيه ، كقولهـــم نهاره صائم ، وليله قائم ثم من تكثيف الدلالة وتعدد مظاهر الجمال للكلمة انبثاق لون جمالي آخر في " اللفظة " ذاتها وهو " الاستعارة " حيـــث شُـــبِّه الـــيوم في شدته ، وضراوته بالأسد العَبـــُوس أو بالشجـــاع الباسل (٥) .

٤ ــ ما ورد منها وصفـًا للتوبـــــة .

ورد مـــن صيغة " فَعول " في القرآن الكريم ــ وصفـًا للتوبة أنموذج واحد في قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة **نصوحًا** ﴾ (٦)

---

(١) القلم /٤
(٢) الإنسان/ ١٠
(٣) انظر المفردات / ٥٤٤ ، وانظر التحرير والتنوير مجلد ١٤ ٢٩ / ٣٨٦
(٤) التحرير والتنوير مجلد ١٤ ٢٩ /٣٨٦
(٥) انظر الكشاف ٤ / ١٦٨ (٦) التحريـــم/ ٨

اختلف المفسرون حول كُنْه " التوبة النصوح " على أقوال [١]

وبنية " نصوحًا " (صيغة مبالغة كالشكور ، صفة لتوبة أي بلغت الغاية في الخلوص) [٢] .

قال ابن منظور : (التوبة النصوح : الخالصة ، وقيل هي ألا يرجع العبد إلى ما تاب عنه ... وفعول من أبنية المبالغة يقع على الذكر والأنثى فكأن الإنسان بالغ في نصح نفسه بها) [٣]

وعطاء صيغة المبالغة في " نصوحًا " هو بلوغ الغاية في نصح نفسه ، فلا يتردد ، ولا يتوب وعينه ترنو إلى المعصية كتوبة الكذابين ، الذين يتوبون باللسان لا بالجنان والأفعال ، وبالادعاء لا بالإذعان ، فالتوبة ان استطاع التائب أن يرتقي بها ويقوِّيها أضحت هي مصدر نصحه وردعه وزجره .

٥ ـ ما ورد منها وصفًا للماء .

ورد من صيغة "فَعول " وصفًا للماء مثال واحد هو :

طَهورًا [٤]

وجاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا من السَّماءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ [٥]

واللافت في الصيغة عدولها عن اسم الفاعل " طاهر " لنكتة لطيفة في طبيعة الماء ، فـ " طهورًا " يعني ماءً بليغًا في الطهارة ـ كما أشار أبو السعود [٦] ـ وهو يعني أن الماء إضافة إلى أنه طاهر في نفسه ،

---

(١) قيل هي أن تتوب من الذنب ثم لا تعود إليه أبدًا ولا تريد أن تعود ، وقيل معناه : توبة خالصة فهو من قولهم : عسل ناصح إذا خلص من الشمع ، وقيل " نصوحًا " من نصاحة الثوب ، وقيل توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها . انظر التسهيل ٤ / ١٣٢ وأبا السعود ٨ / ٢٦٨ ، ٢٦٩ والكشاف ٤ / ١١٧ ولسان العرب مادة (ن . ص . ح) .

(٢) الصاوي علي الجلالين ٤ / ١٨٩

(٣) لسان العرب مادة (ن . ص . ح) .

(٤) ورد في القرآن بهذا اللفظ مرتين هما : قوله تعالى " وأنزلنا من السماء ماءً طهورًا " الفرقان/ ٤٨ وقوله تعالى : " وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا " الإنسان/ ٢١ بيد أن " اللفظ " الأول وصف" للماء و " اللفظ " الآخر وصف" لخمر الآخرة ، وهذا الأخير تجده في آخر مبحث من هذه الصيغة .

(٥) الفرقان /٤٨ (٦) أبو السعود ٦ / ٢٢٤

obeikandl.com

طاهـــر لغيره ، إذ ثمة فارق ــ عند الفقهاء ــ بين الماء الطاهر لنفسه غير المطهر لغيره ، والماء الطاهر لنفسه المطهر لغيره قال ابن عاشـــور : (الطَّهور .. من أمثلة **المبالغة** في الوصف بالمصدر .. وماء المطر بالغ'' منتهى الطهارة ؛ إذ لم يختلط به شيء يكدره أو يقذره وهو في علم الكيمياء أنقى المياه لخلوه من جميع الجراثيم فهو الصافي حقـًا والمعنى :

أن المـــاء الـــنازل من السماء هو بالغ الطهارة في جنسه من المياه ، ووصف الماء بالطَّهور يقتضي أنه مُطهِّر لغيره ؛ إذ العدول عن صيغة فاعل إلى صيغة فعول لزيادة معنى في الوصف) (١) .

وبيِّـــن'' بروز أداء بنية " المبالغة " في اللفظ ، بحيث ما كان لِيُتَوَصَّلُ إلى عمق الدلالة وتكثيفها بهذا الوصف لولا البنية ذاتها .

٦ ــ ما ورد منها وصفـًا للنفس .

ورد من صيغة "فَعول " وصفـًا للنفس اثنا عشر وصفـًا هي :

جزوعًا (٢) ــ جهولاً (٣) ــ ظلومًا (٤) ــ عجولاً (٥) ــ فخور (٦) ــ قتورًا (٧) ــ قنوط (٨) ــ كفور (٩) ــ كنود (١٠) ــ منوع (١١) ــ

---

(١) التحرير والتنوير مجلد ٩ ١٩ / ٤٧

(٢) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " إذا مسَّه الشـرُّ جزوعًا " المعارج/ ٢٠

(٣) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " وحملـها الإنسانُ إنه كان ظلومًا جهولاً " الأحزاب / ٧٢

(٤) ورد فـي القرآن الكريم مرتين في قوله تعالى : " إنه كان ظلومًا جهولاً " الأحزاب/ ٧٢ بهذا اللفظ وأخرى بلفظ " ظلوم " في قوله تعالى : " وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار " إبراهيم /٣٤ .

(٥) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا " الإسراء/ ١١

(٦) ورد في القرآن الكريم ثلاث مرات هي : قوله تعالى : " ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح'' فخور " هود/ ١٠ ، وقولـه تعالى : " إن الله لا يحب كل مختال " فخور " لقمان/ ١٨ ، وقوله تعالى : " والله لا يحب كل مختال " فخور " الحديد/ ٢٣

(٧) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورًا " الإسراء/ ١٠٠

(٨) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " وإن مسَّه الشر فيئوس'' قنوط " فصلت/ ٤٩

(٩) ورد في القرآن الكريم بهذا اللفظ " كفور " ثماني مرات هي : هود/ ٩ والحج/ ٣٨ ، ٦٦ ولقمان /٣٢ وسبا/ ١٧ وفاطـــر/ ٣٦ والشورى/ ٤٨ والزخرف /١٥ وبلفظ " كفورًا " ورد أربع مرات هي : الإسراء /٢٧ ، ٦٧ والإنسان/ ٣ ، ٢٤

(١٠) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " إن الإنسان لربه لكنود " العاديات/ ٦

(١١) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " وإذا مسَّه الخير منوعًا " المعارج/ ٢١

ـ هلوع (١) ـ يئوس (٢) .

أثر المبالغة في بعض هذه الصفات :

أولاً : " قتورًا " :

كما قال تعالى : ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورًا ﴾ (٣)

(القَتْرُ والتقتير : الرُّمقةُ من العيش .. وأقتر الرجل : افتقر .. وقتر على عياله يَقْتُرُ ويقتِرُ قتْرًا وقُتُورًا أي ضيَّق عليهم في النفقة وكذلك التقتير والإقتار ثلاث لغات) (٤) والآية تنبيه على ما جُبل عليه الإنسان من البخل (٥) .

قال القرطبي : (المعنى لو ملك أحد المخلوقين خزائن الله لما جاد بها كجود الله تعالى ، لأمرين : أحدهما : أنه لابد أن يمسك منها لنفقته وما يعود بمنفعته . الثاني : أنه يخاف الفقر ويخشى العدم والله تعالى يتعالى في جوده عن هاتين الحالتين . والإنفاق في هذه الآية بمعنى الفقر) (٦) .

لقد بلغ هذا الإنسانُ حدًا من الشح لا يُتَصَوَّر ، ومنتهىً من الإقتار لا يبلغه خيال . لك أن تتصور محاولاً شحذ جميع هممك إنسانًا قائمًا على خزائن رزق الله ونِعمه على خلقه ، وهي في طبيعتها ملأى لا تنفد أبدًا ، وعلى الرغم من هذا تجده ممسكًا مُقتِرًا ، وماذاك إلا لتأصُّل داء الشح فيه ، واستحكام طبع البخل في نفسه كما قال ـ عز من قائل : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأولئك هم المُفْلِحون ﴾ (٧) .

---

(١) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " إن الإنسان خُلِق هلوعًا " المعارج / ١٩

(٢) ورد في القرآن الكريم بهذا اللفظ " يئوس " مرتين : في قوله تعالى : " ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس" كفور " هود/ ٩ ، وقوله تعالى : " لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسَّه الشر فيئوس" قنوط " فصلت ٤٩ وبلفظ " يئوسًا " مرة واحدة في قوله تعالى : " وإذا مسَّه الشرّ كان يئوسًا " الإسراء /٨٣

(٣) الإسراء/ ١٠٠

(٤) لسان العرب مادة (ق . ت . ر) .

(٥) انظر المفردات /٦٥٥

(٦) القرطبي ٥/ ٤٠٦٤

(٧) التغابن/ ١٦

obeikandi.com

ثانيـــًا : " كفور " :

كمـــا قال تعالى : ﴿ وَلَئِن أَذَقْنَا الإنسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاها منه إنَّه ليئوس'' **كفورٌ** ﴾ (١)

الكفور : المبالغ في كفران النعمة ، الجاحد لنعم الله عليه (٢)

هـــذا الوصف المَشين البالغ في الجحود والنكران منتهاه ، أطلق على الإنسان المنكر لِنِعم الله وإحسانه كما في الآية السابقة ، وجاء أيضًا وصفـًا للشـــيطان فـــي قولـــه تعالى : ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه **كفورًا** ﴾ (٣)

قـــال ابن عاشور : (اليئوس والكفور مثالا **مبالغة** في الآيس ، وكافر الـــنعمة أي : جاحدهـــا ، والمراد بالكفور منكر نعمة الله ؛ لأنه تصدر منه أقوال'' وخواطر'' من السخط على ما انتابه كأنه لم ينعم عليه قط) (٤) .

واللافـــت في سياق قوله تعالى : ﴿ إنَّه ليئوس'' كفورٌ ﴾ تأكيد الجملة بـــاللام الموطـــئة للقسم هذا إضافة إلى التوكيد في جملة جواب القسم بحرف التوكـــيـــد " إنّ " لقصـــد تحقيـــق مضمونـــها وأنه حقيقة ثابتـــــة ، **لا مبالغة** (٥) فيها ولا تغليب (٦) .

ثالثـــًا : " قنوط " :

كقولـــه تعـــالى : ﴿ لا يَسْـــأَم الإنسانُ من دُعاء الخيرِ وإن مَسَّه الشرُّ فيئوس'' **قنوطٌ** ﴾ (٧)

---

(١) هود / ٩
(٢) انظر المفردات /٧١٥ والقرطبي ٤ / ٣٣٢٨
(٣) الإسراء/ ٢٧
(٤) التحرير والتنوير مجلد ٦ ١٢ / ١٣
(٥) استخدم ابن عاشور لفظ " مبالغة " هو يعني معنىً قريبًا من المعنى الشائع الآن القائم على التهويل وتصوير الأمر على غير حقيقته والمقابل للواقع والحقيقة .
(٦) انظر التحرير والتنوير مجلد ٦ ١٢ / ١٣
(٧) فصلت / ٤٩

(القــنوط : الــيأس ؛ وفي التهذيب : اليأس من الخير ؛ وقيل : أشد اليأس من الشيء) (١) .

وهذه صفة أخرى من صفات النفس البشرية ؛ بل قل إن شئت صفتين مترادفتيــن ، فهــو فرح'' مسرور'' ما استقامت له الحياة ، وتكاثرت عليه الــنعم ، فــإذا ضُيِّق عليه " فيئوس'' قنوط " قال الزمخشري (**بولغ** فيه من طريقيــن من طريق بناء "فعول " ومن طريق التكرير . والقنوط أن يظهر علــيه أثــر اليــأس فيتضاءل وينكسر أي يقطع الرجــاء من فضــل الله وروحه) (٢) .

فســرٌ تكثــيف الدلالة ــ كما هو بَيِّن'' ــ في " فيئوس'' قنوط " إنما تبلور في " البناء " و " التكرير " ، هذا التآزر الجمالي حدا بالمفسرين إلى أن يــبلغوا بالموصــوف الحد الأقصى ، فمالَ جُــلُّ المفسرين إلى أن المقصود بالوصف " الكافر " ؛ إذ هو الذي يمكن أن يَصْدُرَ منه هذا الخلق كما قال ــ عــزَّ من قــائل : ﴿ إنه لا ييأس من رَوْح الله إلا القوم الكافرون ﴾ (٣)

أمــا المؤمــن فإنْ اعترضه يأس فسرعان ما يتحول عنه إلى الرجاء وحسن الظن بربه ــ عز وجل .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى إنزال الآيات على " مُعيَّن " من صناديد الكفر في مكة وأن المقصود من " الإنسان " في السياق القرآني هنا هــــو " الولــيد بن المغيرة " وقيل " عتبة " و " شيبة " ابنا ربيعة ، وقيل " أمية بن خلف " (٤) .

ومهما يكن من أمرٍ فإن الإنسان ــ أيَّ إنســان ــ أدرك حظــَّه من " اليأس " لا محالة ، فإن اصطبغ بالإيمان فاليأس ظِلّ'' عارض'' وسحابة

---

(١) لسان العرب مادة (ق . ن . ط) .
(٢) الكشاف ٣ / ٣٩٤
(٣) يوسف/ ٨٧
(٤) انظر القرطبي ٩ / ٦٠٣٩ ، والكشاف ٣ / ٣٩٥

صيف ألم تر إلى قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إذا استيأسَ الرُّسلُ وظنُّوا أنهم قد كُذِبوا جَاءهم نَصْرُنا فَنُجِّي من نشاء ولا يُرَدُّ بأسُنَا عن القوم المُجْرِمين ﴾ (١)

وإن عُرِّي عنه فقنوط'' قطوع'' لكل ألوان الرجاء ، قد تحطّم على صخرة اليقين وتاه في دياجي الحيرة والشك والجزع .

٧ ــ ما ورد منها وصفًا للباطل .

ورد من صيغة "فَعول" وصفًا للباطل مثال'' واحد'' هو : زهوقًا (٢)

كما في قوله تعالى : ﴿ قُل جَاء الحقُّ وزهق الباطلُ إن الباطلَ كان زَهُوقًا ﴾ (٣)

زهوقًا : مضمحلاً غير ثابت في كُلِّ وقت ، ذاهب منتقِل (٤) .

والمعنى : استقر وشاع الحق الذي يدعو إليه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ، وانقضى الباطل الذي كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ينهى عنه ، ثم إن انقضاء هذا الباطل ليس وقفًا على هذه الأمة ؛ بل ذلك شأن الباطل فيما مضى من الشرائع أنه مندحر'' زائل'' لا ثبات له (٥) .

٨ ــ ما ورد منها وصفًا للعصاة .

ورد من صيغة "فَعول" وصفًا للعصاة مثال'' واحد'' هو : بغيًّا (٦) .

كقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ أكُ بَغِيًّا ﴾ في نفي الصفة عن مريم العذراء .

---

(١) يوسف / ١١٠

(٢) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الإسراء الآية الحادية والثمانين .

(٣) الإسراء / ٨١

(٤) انظر الكشاف ٢ / ٣٧٣ و لسان العرب مادة (ز . هـ . ق) .

(٥) انظر التحرير والتنوير مجلد ٧ ١٥ / ١٨٨

(٦) ورد في القرآن الكريم مرتين ، كلتاهما في سورة مريم/ ٢٠ ، ٢٨ أولاهما في نفي الصفة عن مريم البتول " ولم أكُ بغيًّا " وأخراهما في نفي الصفة عن أم مريم : " وما كانت أمُّكِ بغيًّا " .

البغـــيّ : الفاجـرة التي تبغي الرجال أوهي المجاهرة المشتهرة في الزنا (١) .

ولم تلحقه التاء إما قصدًا للمبالغة وإما للنسب كطالق وحائض (٢) .

وجاءت الآية الأخرى في سورة مريم في نفي الصفة عن أم مريم في قوله تعالى : ﴿ وما كانت أُمُّـكِ بغيًّـا ﴾ (٣) .

فقـد زكـيَّ الله أُمَّ مـريم " امرأة عمران " في قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ (٤) .

وزكىَّ الله مريم في قوله تعالى : ﴿ مَا المَسِيحُ ابن مَرْيم إلا رسولٌ قد خَلَتْ من قبله الرسلُ وأُمُّـهُ صِدِّيقة'' ﴾ (٥) .

٩ ــ ما ورد منها وصفًـا للجن والشياطين .

ورد من صيغة " فَعـول " وصفًـا للجن والشياطين لفظان هما :

خذولاً ــ الغرور

أولاً : " خذولاً " (٦)

خـذولاً : أي كثـير الخـذلان (٧) أومُبالغًـا في الخذلان وهو ترك المعاونة والنصرة وقت الحاجة ممن يظنُّ فيه ذلك (٨) .

ففي قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ الشيطانُ للإنسانِ خَذُولاً ﴾ (٩) . (يحتمل

(١) انظر الكشاف ٢ / ٤٠٧ ، والبحر المحيط ٦ / ١٧٠
(٢) انظر البيضاوي ٢ / ٢٩
(٣) مريم /٢٨
(٤) آل عمران /٣٣
(٥) المائدة / ٧٥
(٦) ورد مـرة واحـدة في القرآن الكريم في قوله تعالى : " لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً " الفرقان/ ٢٩
(٧) انظر المفردات / ٢٧٧
(٨) انظر روح المعاني ١٩ / ١٣
(٩) الفرقان/ ٢٩

أن يكـون هـذا مـن قول الظالم أو ابتداء إخبار من قول الله تعالى ، ويحتمل أن يريد بالشيطان إبليس او الخليل [١] المذكور) [٢] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن خذلان الشيطان للإنسان ومبالغته في ذلك يُعَدُّ غايته المثلى ، وهدفه الأسمى من وراء الإغراء والإضلال قال عز من قائل : ﴿ ينزع عنهما لباسهما لِيُرِيهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا تـرونهم ﴾ [٣] ، ﴿ فَلَمَّـا كَفَرَ قال إِنِّي بَرِيءٌ منك إني أخافُ الله ربَّ العَالَمِيـن ﴾ [٤] ، ﴿ فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ إني كفرت بما أشركتموني من قبل ﴾ [٥] ، ﴿ فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم ﴾ [٦] وغيرها من الآيات التي تبين هـذا المنهج الضلالي الذي يتبعه " إبليس " ــ عليه لعائن الله ــ في الإغواء مـن استدراج خفيّ إلى خذلان مُبين ، ومن ثمَّ يُجَلِّيٍّ لنا " أبو السعود " هذه الحقـيقة فـي تفسير قوله تعالى : ﴿ وكان الشيطانُ للإنسانِ **خَذولاً** ﴾ [٧] فيقول : (أي **مبالغًا** في الخُذْلان حيث يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا يـنفعه ... علـى أنه سميَّ خليله شيطانًا بعد وصفه بالإضلال الذي هو أخـص الأوصـاف الشيطانية ، أو على أنه أراد بالشيطان " إبليس " ؛ لأنه الذي حمله على مخالة المضلين ، ومخالفة الرسول الهادي ــ صلى الله عليه وسـلم ــ بوسوسـته وإغوائه لكن وصفه بالخذلان يُشعر بأنه كان يَعِدُه في الدنيا ويُمنيِّه بأنه ينفعه في الآخـرة وهو أوفق بحال إبليس) [٨] .

ثانيًا: " الغرور " [٩]

كقولـه تعـالـى : ﴿ فَـلا تَغُـرَّنكم الحياةُ الدنيا ولا يَغُـرَّنكم بالله الغَرورُ ﴾ [١٠] .

---

(١) كـان " عقبة بن أبي مُعَيْط " قد أسلم ثم ارتد عن الدين بسبب صديقه الشقيّ " أبيّ بن خلف " وهو المقصود بالخليل في قوله تعالى : ليتني لم أتخذ فلانـًا خليلاً " الفرقان/ ٢٨

(٢) التسهيل ٣ / ٧٨

(٣) الأعراف/ ٢٧ (٤) الحشر/ ١٦

(٥) إبراهيم/ ٢٢ (٦) الأنفال/ ٤٨

(٧) الفرقان/ ٢٩ (٨) أبو السعود ٦ /٢١٤

(٩) ورد في القرآن الكريم ثلاث مرات : في لقمان/ ٣٣ وفاطر/ ٥ والحديد/ ١٤

(١٠) لقمان/ ٣٣

(الغـــرور : كُلُّ ما يَغُرُّ الإنسان من مالٍ ، وجاه ، وشهوةٍ وشيطان وقـــد فُسِّـــر بالشـــيطان ؛ إذ هو أخبث الغارِين ، وبالدنيا لما قيل : الدنيا تغرُّ وتضرُّ وتَمُرُّ) (١) .

وقـــال ابـــن منظور : (الغَرور : الشيطان يَغُرُّ الناس بالوَعْد الكاذب والتَّمْنِيَة وقال : الأصمعي : الغَرور الذي يَغُرُّك . والغُرُور بالضمِّ : الأباطيل (٢) وقال أبو السعود : الغرور : الشيطان المبالغ في الغرور (٣)

والملحـــظ البلاغـــي في الآية هو إسناد التغرير إلى الحياة الدنيا على ســـبيل المجاز العقلي ، لأن الدنيا ظرف الغرور ، وفاعل التغرير حقيقة هم الذيـــن يضـــلونهم بالأقيسة الباطلة ، فيشبهون عليهم إبطاء الشيء باستحالته فذكرت هنا وسيلة التغرير وشبهته ثم ذكر بعده الفاعل الحقيقي للتغرير وهو الغَرور : من يكثر منه التغرير ، والمراد به الشيطان بوسوسته وما يُمليه في نفوس دعاة الضلالة من شبه التمويه للباطل وما يُلقيه في نفوس أتباعهم من قبول تغريرهم (٤) .

١٠ ــ ما ورد منها لمعـــانٍ شتَّى .

ورد من صيغة "فَعـــول" لمعانٍ مختلفة لفظان : ذلول ــ طهورًا

أولاً : "ذلول" (٥)

وتدور معاني اللفظ حول التذليل بمعنـــى التسخير والانقـــياد والتيسير (ذلَّـــت الدابة بعد شِماس ذِلاً ، وهي ذلول'' ؛ أي ليست بصعبـــة) (٦) . و (طـــريق مُذَلَّـــل إذا كـــان موطوءًا سهلاً ، وذِل الطريق : ما وُطِئ منه وسُهِّل ، وطريق ذليل من طرقٍ ذُلُـــل) (٧) .

---

(١) المفردات / ٦٠٤
(٢) لسان العرب مادة (غ . ر . ر) .
(٣) انظر أبو السعود ٧ / ٧٧
(٤) انظر التحرير والتنوير مجلد ١٠ ٢١ / ١٩٥
(٥) ورد بهذا اللفظ في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " قال إنه يقول إنها بقرة'' لا ذلول'' تثـــير الأرض " البقرة/ ٧١ وبلفـــظ " ذلولاً " مرة واحدة في قوله تعالى : " هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً " الملك/ ١٥ وبلفظ " ذللاً " مرة واحدة في قوله تعالى : " فاسلكي سُبُل ربك ذللا " النحل /٦٩
(٦) المفردات / ٣٣٠
(٧) لسان العرب مادة (ذ . ل . ل) .

وارتبط اللفظ في القرآن الكريم بموصوفاتٍ ثلاثة هي : البقرة ، والأرض ، والنحل . أو السبل { حسب توجيه الإعراب } كالآتي :

١- البقرة الذلول : في قوله تعالى : ﴿ إنَّها بقرةٌ لا ذلولٌ ﴾ (١) : أي المنقادة التي تذلُّ لك للرّكاب وإثارة الأرض (٢) .

٢- الأرض الذلول : في قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ ذَلُولاً ﴾ (٣) أي سهلة للمشي فيها والذلول : فَعول للمبالغة أي مذللة كركوب وحَلُوب (٤) .

٣- ذُلُلاً : في قوله تعالى : ﴿ فَاسْلُكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً ﴾ (٥)

- حال من السبل : أي مذللة غير وعرة .
- أو حال من النحل : أي مطيعة منقادة (٦) .

ثانيـًا : " طهورًا " (٧)

كما في قوله تعالى : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٨)

طهورًا ــ هنا ــ وصف '' خمر الآخرة .

فخمر الآخرة شراب '' طاهر '' لم تدنسه الأيدي ، وليس بنجسٍ كخمر الدنيا ولم تُدْس برجل دنسة ، ولم تمس بيدٍ وضرة ولم توضع في

(١) البقرة /٧١
(٢) انظر القرطبي ١٠ / ٦٩٤١ ، والكشّاف ١ / ٧٥
(٣) الملك/ ١٥
(٤) انظر الصاوي على الجلالين ٤ / ١٩٣ والبحر المحيط ٨ / ٢٩٥
(٥) النحل/ ٦٩
(٦) انظر التسهيل ٢ / ١٥٧ ، وأبا السعود ٥ / ١٢٦ ، والبحر المحيط ٥ / ٤٩٧ والكشاف ٤ / ١٢٣
(٧) ورد اللفظ في القرآن الكريم مرتين هما : قوله تعالى : " وأنزلنا من السماء ماء طهورًا " الفرقان/ ٤٨ وهو وصف للماء ومر بهذا المعنى في مبحث " ما ورد منها وصفـًا للماء " فانظره هناك ، وفي قوله تعالى : " وسقاهم ربهم شرابـًا طهورًا " الإنسان /٢١ وهو المقصود في مبحثنا هنا .
(٨) الإنسان/ ٢١

إناءٍ لم يُعن بتنظيفه ، من أجل ذلك جاء اللفظ بصيغة " المبالغة " للدلالة على مـدى نقائهـا ، وحسن بهائها ، وعبق شرابها فقد روي أن الرجل من أهل الجـنة إذا شرب هذا الخمر الطهور يرشح عرقـًا من بدنه له ريح'' كريح المسك [١] .

ملاحظات على صيغة "فَعول "

١- ورد عدد أمثلة هذه الصيغة في القرآن الكريم ستـًا وعشرين مرة وهي بهـذا تحتل المرتبة الثالثة ــ ورودًا في القرآن ــ بعد صيغتي " فعَّال " و "فَعيل " .

٢- جاءت أمثلة الصيغة على النحو التالي :

(١) ما ورد منها اسمًا لله ــ عز وجل : ستة أمثلة .

(٢) ما ورد منها وصفـًا للأنبياء : مثالان [٢] .

(٣) ما ورد منها وصفـًا لليوم الآخر : مثال'' واحد .

(٤) ما ورد منها وصفـًا للتوبة : مثال'' واحد .

(٥) ما ورد منها وصفـًا للماء : مثال'' واحد .

(٦) ما ورد منها وصفـًا للنفس : اثنا عشر مثالاً .

(٧) ما ورد منها وصفـًا للباطل : مثال'' واحد .

(٨) ما ورد منها وصفـًا للعصاة : مثال'' واحد .

(٩) ما ورد منها وصفـًا للجن والشياطين : مثالان .

(١٠) ما ورد منها لمعانٍ شتى : مثالان [٣] .

---

(١) انظر الكشاف ٤ / ١٧١ ، والبحر المحيط ٨ /٣٩٢ .

(٢) مع ملاحظة تكرار لفظ " رءوف " فهو مذكور في أسماء الله ومعدود في الإحصاء هناك فقط .

(٣) مع ملاحظة تكرار لفظ " طهورًا " في معنيين مختلفين وهو في الإحصاء معدود في مبحث وصف الماء فقط .

obeikandl.com

اللافت في الصيغة اختلافها عما سبقها من الصيغ في قلة الأمثلة الواردة لأسماء الله ــ عز وجل ، في مقابل كثرة النماذج الواردة للنفس البشرية . أضف إلى ذلك استمرار غياب بعض الأوصاف التي ظهرت في الصيغة الأولى " فعَّال " ولم تظهر في " فعيل " وكذلك هنا في " فعول " مثل وصف المؤمنين والجنة واليهود ، في حين ظهرت بعض الأوصاف الجديدة مثل وصف اليوم الآخر والماء والتوبة والباطل .

٣- صيغة " فعول " تستعمل في العربية بمعنى " فاعل " مثل رءوف ــ شكور ــ غفور ، كما تستعمل أحيانًا بمعنى " مفعول " مثل " ذلول " أي مذللة منقادة .

٤- لفظ " ذلول " ورد وصفًا لموصوفات متعددة ، حيث جاء وصفًا للبقرة ، والأرض والنحل أو السبل ، وبيَّنتُ ذلك في مبحث " ما ورد منها لمعانٍ شتىً " .

٥- لفظ " رءوف " جاء اسمًا من أسماء الله ــ عز وجل في كل سياقاته إلا سياقًا واحدًا جاء وصفًا للنبي العدنان ــ صلىَّ الله عليه وسلم .

٦- لفظ " طهورًا " ورد في سياقين مختلفين ، الأول وصف'' للماء والآخر وصف لخمر الآخرة .

(٤) صيغة مِفعال

ورد لصيغة " مِفعال " في القرآن الكريم نموذجان هما :

مدرارًا ــ مرصادًا

الأول : مدرارًا (١)

كقوله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عليهم مِدْرارًا﴾ (٢)

---

(١) ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاث مرات : في قوله تعالى : " وأرسلنا السماء عليهم مدرارًا " الأنعام /٦ ، وقوله تعالى : " ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مِدرارًا " هود/ ٥٢ وقوله عز من قائل : " يرسل السماء عليكم مِدرارًا " نوح/ ١١

(٢) الأنعام / ٦

المدرار : المغزار ، كثير الصّب المتتابع [١]

وجمال السياق منوط بالبنية الراصدة لانهمار المطر ــ وهي كما قال " ابن الأنباري " : ذكرت " لتعديد النعم " [٢] وبيان فضل الله على خلقه .

الآخر : مِرصادًا :

وردت بهذا اللفظ في القرآن الكريم في سياق واحد هو قوله تعالى :

﴿ إِنَّ جَهَنَّم كانت مِرصَادًا ﴾ [٣]

وبلفظ " مِرصاد " في سياق واحدٍ ــ أيضًا ــ في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ربَّك لبالمِرْصاد ﴾ [٤]

قال ابن منظور (معناه لبالطريق أي بالطريق الذي ممرك عليه ... وقال الزجاج : أي يرصد من كفر به وصدَّ عنه بالعذاب ، وقال ابن عرفة : أي يرصد كُلَّ إنسان حتى يجازيه بفعله . ابن الأنباري : المِرصاد : الموضع الذي تُرْصَد الناس فيه ... وقيل : المِرْصاد : المكان الذي يُرْصَدُ فيه العدوّ وقال الأعمش في قوله تعالى : ﴿ إن ربك لبالمِرْصاد ﴾ قال : المِرْصاد ثلاثة جسور خلف الصراط : جسر '' عليه الأمانة ، وجسر '' عليه الرحم ، وجسر '' عليه الربّ ، وقال تعالى : ﴿ إن جهنم كانت مِرْصادًا ﴾ أي تَرْصُد الكُفّار) [٥] .

وفي قوله ــ عز من قائل : ﴿ إن رَبَّك لبالمِرْصاد ﴾ تنبيه على أنه تعالى حاضر بعلمه في كل مكان وزمان ، رقيب '' على كُلَّ إنسان

---

(١) انظر البيضاوي ١ / ٢٩٣ ، الصاوي على الجلالين ٢ / ٥ ، روح المعاني ٧ / ٩٥ .

(٢) البحر المحيط ٤ / ٨١ ، وهذا هو الوجه الظاهر في السياق ، أما ما ذكره ابن عاشور : " ووصف المطر بالمدرار مجاز عقلي وإنما المدرار سحابه " ففيه نظر ؛ لأن وصف المطر بالمدرار حقيقة ؛ لكن ربما قصد وصف السماء بالمدرار هوالمجاز ، وحتى هذا السياق جائز أن يكون حقيقة على معنى أن السماء : المطر قال ابن منظور : " السماء : السحاب والسماء المطر .. يقال : مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم ، أي : المطر " اللسان ٣ / ٢١٠٨ وجائز '' أن يكون على المجاز ، فالقول بأن في السياق مجازًا لا يسلم له على الإطلاق .

(٣) النبأ / ١٤

(٤) الفجر/ ١٤

(٥) لسان العرب مادة (ر . ص . د) .

لا يفوته أحد'' من الجبابرة والكفار وفي ذلك تهديد لكفار قريش [١] .

والملحــظ البلاغي في سياق قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ في الاستعارة ــ كما قال الصاوي : (شبَّه حفظه تعالى لأعمال عباده ومجازاته عليها بحال مَنْ قعد على الطريق مترصدًا لمن يسلكها ؛ ليأخذه ، فيوقع به ما يريد واستعير اسم المُشبَّه به للمشبه) [٢] .

وفــي السياق الآخر : " إِنَّ جَهَنَّم كانت مِرْصادًا " [٣] يعني ترصد من حقَّت عليه كلمة العذاب ، وقال مقاتل : مجلسًا ، وممرًا للأولياء [٤]

قــال الحسن : (إن على النار رصدًا لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز علــيه فمَنْ جاء بجواز جاز ومَنْ لم يجئ بجواز حُبس) [٥] ولهذا جاء قوله تعالى بعدُ : ﴿ إِنَّ للمتقين مفازًا ﴾ [٦] بمثابة طوق النجاة ــ فوزًا ونجاةً ــ مــن هــذا الإرصاد المكين ، وهذا المآب المهين ، وهذا اللَّفت التقابلي بين فريقــي العصــاة والتقاة وبين الإرصاد والنجاة هو الذي يمنح المتلقي قدرة وافــرة فــي إدراك الدلالة وفهم فحوى السياق في رحاب جماليات المفارقة لتبيُّن عِظم مِنَّة الله على عباده المؤمنين في الظــَّفر ، والجواز بسلام .

---

(١) انظــر التســهيل ٤ / ١٩٧ وعن عمرو بن عبيد ــ رحمه الله ــ أنه قرأ هذه السورة (الفجر) عــند بعض الظَــلَــمة حتى بلغ هذه الآية فقال : إن ربك لبالمرصاد يافلان (عرَّض له في هذا الــنداء بأنه بعض من توعد بذلك من الجبابرة) فلله درُّه أيُّ أسد فراس كان بين ثوبيه يدقُّ الظلمة بإنكاره ويقصع أهل الأهواء والبدع باحتجاجه . انظر الكشاف ٤ / ٢٠٩ .
(٢) الصاوي على الجلالين ٤ / ٢٦٧
(٣) النبــأ / ٢١
(٤) انظر البحر المحيط ٨ / ٤٠٥
(٥) القرطبي ١٠ / ٧٢١٣
(٦) النبــأ / ٣١

ثانيـــاً : الصيغ السماعيـــة

ورد من هذه الصيغ في القرآن الكريم سبع صيغ هي :

١- فُعلَة .
٢- فِعيِّل .
٣- فُعَّال .
٤- فُعُّول .
٥- فُعُلّ .
٦- فَيْعول .
٧- فُعَّيل .

(١) صيغة فُعَـلة

ورد من صيغة "فُعلَة" في القرآن الكريم ثلاثة أمثلة هي :

الحُطَـمَة ــ هُمَزة ــ لُمَزة

أولاً : الحُطَـمَة (١) :

(الحُطَـمَة : اسم '' من أسماء النار ، نعوذ بالله منها ، لأنها تحطم ما تَلْقى وقيل : الحُطَـمَة باب من أبواب جهنم ، وكل ذلك من الحَـطْـم الذي هو الكسر والدق ... و الحُطَـمة من أبنية **المـبالغة** وهو الذي يَكْـثُـر منه الحَطْـم ، ومـنه سُـمِّيت النار الحُطَـمَة ؛ لأنها تحطم كُلَّ شيء ، ومنه الحديث : رأيت جهنم يَحْـطم بَعْضُها بَعْضـًا) (٢) .

تلك نار '' مُحَطِّـمة كل ما تلقاه من شدة البطش والغيظ والحَـنَق فهي (تكسر كُلَّ ما يُلقى فيها وتُحطِّـمه وتُهشِّمه) (٣) فلا يقوم لها شيء ، أضف إلى ذلك ــ إن استرسلت في السياق القـــرآني في السورة ــ أنها بعـــد

(١) وردت بهـذا اللفظ في القرآن الكريم مرتين في قوله تعالى : " كَـلاَّ لَيُنْبَذَنَّ في الحُطَـمَة * وما أدراك ما الحُطَـمَة " الهمزة / ٤ ، ٥
(٢) لسان العرب مادة (ح . ط . م) .
(٣) القرطبي ١٠ / ٧٥٢٨

التحطيم والكسر " تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم ، وتطلع علـى أفـئدتهم وهي أوساط القلوب ، ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد ، ولا أشد تألمـًا منه بأدنى أذى يَمسُّه فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه) (١) .

ثانيـًا : هُمَزة ـ لمَزة (٢) :

كقوله تعالى : ﴿ ويل'' لكل هُمَزة لمَزة ﴾ (٣)

(الهَمْـزُ مـثل اللّمْـز . وهَمَـزه : دَفَعَه وضَرَبَه وهَمَزتـُهُ ولَمَزْتُه ولـَهَـزْتُه ونَهَـزْتُه إذا دفعته .. والهامز والهمَّاز : العيَّاب والهُمَزَة مثله ، ورجل هُمَزَة ، وامرأة هُمَزَة أيضًا . والهمَّـاز والهُمَزَة : الذي يخلف الناس مـن ورائهم ، ويأكل لحومهم ، وهو مثل العُيَبَة ، يكون ذلك بالشَّدق والعين والرأس) (٤) .

وقـال الراغـب الأصـفهاني : (اللّمز : الاغتياب وتتبع المَعاب .. ورجل'' لمَّاز ، ولُمَزة : كثير اللّمز) (٥) .

ويـبدو أن اختلافـًا كبيرًا حدث بين اللغويين والمفسرين حول الفرق بين اللفظين ، ويمكن إيجاز أهم هذه الاختلافات على النحو التالي :

---

(١) الكشاف ٤ / ٢٣٣
(٢) وردا في موضع واحد في القرآن الكريم في قوله تعالى : " ويل'' لكل هُمَزة لمَزة " الهمزة / ١ .
(٣) الهمزة / ١
(٤) لسان العرب مادة (هـ . م . ز) .
(٥) المفردات /٧٤٧

م	هُمَزة	لُمَزة	ملاحظات
١	الذي يطعن الناس في الحضور.	الذي يطعن الناس في الغيبة	وقيل العكس (١).
٢	الذي يهمز الناس بيده ويضربهم .	الذي لمزهم بلسانه ويعيبهم .	وقيل الهمز باللسان واللمز بالعين (٢).
٣	الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ .	الذي يكسر عينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه (٣).	
٤	الرجل القتّات (النمّام) .	الرجل العيّاب (٤).	
٥	قال سفيان الثوري : "يهمز بلسانه"	"ويلمز بعينيه" (٥).	
٦	الذي يخلف الناسَ من ورائهم ويأكل لحومهم ، يكون ذلك بالشَّدق والعين والرأس (٦).	المغتاب المُتتبع المَعاب (٧).	

وجملة القول أن هذه الأقوال كلها ترجع إلي إظهار العيب ، وإبداء الطعن ، سواء أكان ذلك في حضرة الشخص أم في غيبته وسواء أكان ذلك باللسان أو باليد أو بالعين ، فالمتفق عليه بين الجميع أن هؤلاء القوم هم الساعون بين الناس بالقطيعة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العيب .

واللافت في البنية أن "فُعَلَة" تدل على أن الشخص القائم بالصفة – وهي هنا الطعن والعيب – قد اشتهر بها ، وأكثر منها حتى صارت له عادةً وخُلقًا (٨) أضف إلى هذا " الهاء " الملحقة بالصيغة إذ (لم تلحق الهاء لتأنيث الموصوف بما فيه ، وإنما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية ، فجعل تأنيث الصفة أمارة

(١) انظر التسهيل ٤ / ٢١٧ ، والقرطبي ١٠ / ٧٥٢٥ ، والصاوي على الجلالين ٤ / ٢٩٩
(٢) انظر الصاوي على الجلالين ٤ / ٢٩٩
(٣) انظر الصاوي على الجلالين ٤ / ٢٩٩
(٤) انظر القرطبي ١٠ / ٧٥٢٥
(٥) القرطبي ١٠ / ٧٥٢٦
(٦) انظر لسان العرب مادة (هـ . م . ز) .
(٧) انظر المفردات / ٧٤٧
(٨) انظر الكشاف ٤ / ٢٣٢ ، والبيضاوي ٢ / ٦٢١ ، وأبا السعود ٩ / ١٩٨

لما أريد من تأنيث " **الغاية والمبالغة** " (١).

وإن شئت أن تبلغ الغاية ، وتدرك النهاية في كشف جمال اللغة في صيَغها فاعلم أن صيغة "فُعَلَة" لها جانب جمالي متفرِّد ، يتوقف على ضبط الكلمة ، فقد يؤدي الضبط إلى مبالغة الفاعل وقد يؤدي إلى مبالغة المفعول ، قال الصاوي : (والتاء فيهما **للمبالغة** في الوصف ، واطَّرد بناء ("فُعَلَة") بضم الفاء وفتح العين **لمبالغة** الفاعل أي المكثر من الفعل وإذ أسكنت العين يكون **لمبالغة** المفعول يُقال : رجل لُعَنَة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره ، ولُعْنَة بسكون العين إذا كان ملعونًا للناس) (٢) وعلى هذا فإذا قلت : هذا رجل هُمَزَة أي كثير الهمز لغيره ، وإذا قلت : هو رجل هُمْزَة : أي مهموز مطعون من الناس .

(٢) صيغة فِعِّيل

ورد لهذه الصيغة في القرآن الكريم مثالان هما : صدِّيق ــ قسِّيسين :

أولاً : صِدِّيق (٣) :

كقوله تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا **الصِّدِّيقُ** أَفْتِنَا ﴾ (٤) .

قال ابن منظور : (الصِّدِّيق ... الدائم التصديق ، ويكون الذي يُصدِّقُ قوْلَه بالعمل ذكره الجوهري ... والصديق : المُصدِّق . وفي التنزيل : " وأمُّهُ صِدِّيقة " أي **مبالغة** في الصدق والتصديق على النسب ، أي ذات

---

(١) لسان العرب مادة (هـ . م . ز) .
(٢) الصاوي على الجلالين ٤ / ٢٩٩
(٣) ورد بهذا اللفظ في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " يوسف أيها الصديق أفتنا " يوسف/ ٤٦ ، وبلفظ " صديقًا " مرتين : الأولى : قوله تعالى : " واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقًا نبيًا " مريم/ ٤١ والأخرى قوله تعالى : " واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقًا نبيًا " مريم /٥٦ وبلفظ " الصديقون " مرة واحدة في قوله تعالى : " أولئك هم الصديقون " الحديد/ ١٩ وبلفظ " الصديقين " مرة واحدة في قوله تعالى : " أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين " النساء/ ٦٩ ، وبلفظ " صديقة " مرة واحدة في قوله تعالى : " وأمه صدِّيقة كانا يأكلان الطعام " المائدة /٧٥ .
(٤) يوسف / ٤٦

تصـــديق ... وقـــول الله ــ عز وجــل : " والصديقون والشهداء عند ربهم " .. الصِّدِّيق : **المبالغ** في الصدق)(١) .

ونكتة هـــذه البراعـــة في الاستهلال من الساقـــي بوصف يوســـف " بالصـــديقية " وهي المبالغة في الصدق لما خيره من أحواله وجرَّب صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه .

كذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّه كان صِدِّيقــًا نبيًا ﴾ (٢) .

قـــال أبـــو الســـعود : (ملازمًا للصدق في كل ما يأتي ويذر أو كثير التصـــديق لكـــثرة مـــا صدق به من غيوب الله تعـــالى وآياته وكتبـــه ورســـله) (٣) .

ولعـــل ذلك كان واضحًا في وصف نبي الله إبراهيم ــ عليه السلام ــ فهـــو لفـــرط صدقه امتثل لجميع ما كلفه الله به حتى عرَّضه ذلك للإلقاء في النار فلم يبالِ ، وبادر إلى ذبح ولده الذي رُزقه بعد لأْي وباشر ذبحه بنفسه وبيده ، ولم يبالِ ، من أجل ذلك اتصف بهذه الصفة التي لا أتصور أن يبلغ مداها أحد مثلما بلغ خليل الرحمن عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

ثانيًا : قِسِّيسين (٤) :

قال الألوسي : (" قسيسين " وهم علماء النصارى وعُبَّادهم ورؤسائهم والقِسِّيس : صيغة **مبالغة** من تقسَّس الشيء إذا تتبعه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم) (٥) .

---

(١) لسان العرب مادة (ص . د . ق) .

(٢) مريم ٤١ ، ٥٦ الأولى في نبي الله إبراهيم والأخرى في نبي الله إدريس .

(٣) أبو السعود ٥ / ٢٦٦

(٤) ورد فـــي القـــرآن الكـــريم بهـــذا اللفـــظ مرة واحدة في قوله تعالى : " ذلك بأن منهم قِسِّيسين ورهبانـــًا " المائدة/ ٨٢

(٥) روح المعانـــي ٧ / ٣ ، وقـــال ابـــن مـــنظور : (القَسُّ : رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعـــلم ، وقـــيل : هو الكيِّس العالم .. والقِسِّيس : كالقَسِّ ، والجمع قساقسة على غير قياس ، وقسِّيســـون ، وفـــي التـــنزيل العزيـــز : " ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانـــًا " والاسم القـــسُوسة والقسِّيســـية ، قـــال الفـــرَّاء : نزلـــت هـــذه الآيةَ فيمن أسلم من النصارى ، ويقال : هو النجاشي وأصـــحابه ، وقال الفرَّاء في كتاب الجمع والتفريق : يجمع القِسِّيس قِسِّيسين كما قال تعالى ، ولو جمعـــه قـــسُوسًا كان صوابًا لأنهما في معنىً واحدٍ يعني القَسَّ والقِسِّيس ، قال : ويُجمع القِسِّيس : قساقســـة جمعوه على مثال مهالبة فكثرت السينات ، فأبدلوا إحداهن واوًا وربما شـــدِّد الجمع ولم يُشدَّد واحد'') لسان العرب مادة (ق . س . س) .

obeikandl.com

(٣) صيغة فُعَّال

ورد من صيغة "فُعَّال" في القرآن الكريم مثال واحد هو : "كُبَّارًا" :

وجاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ (١) موضعًا واحدًا .

الكُبَّار أبلغ من الكبير (٢) والبناء للمبالغة لبيان أن المكر الذي اتبعه الكافرون إزعاجًا لنوح ــ عليه السلام ــ ومن معه ، قد بلغ مداه في إخفائه من جهة ؛ فهو " مكر " ثم في زيادته والمبالغة فيه من جهة أخرى وفقًا لدلالات الصيغة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن "كُبَّارًا" على الرغم أنه أبلغ من " كبير " إلا أنه لا يوصف به الله ــ سبحانه وتعالى ؛ لأن أسماء الله توقيفية ، والوارد في الأسماء لفظ " الكبير " فقط كما هو منصوص عليه في الآيات والآثار ، وذلك مثل لفظ " علاَّمة " لا يوصف به الله ــ عز وجل ــ على الرغم أنه أبلغ من " علاَّم " إلا أن اللفظ الثاني هو الوارد .

(٤) صيغة فُعُّول

ورد من صيغة "فُعُّول" مثال" واحد" هو :" قُدُّوس " جاء في القرآن في موضعين هما :

في قوله تعالى : ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوس السَّلام ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لله ما في السموات وما في الأرض الملك القُدُّوس ﴾ (٤) .

التقديس : تنزيه الله عز وجل وفُعُّول بالضم من أبنية **المبالغة** ، وقد تُفتح القاف وليس بالكثير ، فيقال قُدُّوس على الغالب ، وقَدُّوس على النادر

---

(١) نوح/ ٢٢

(٢) انظر المفردات /٦٩٨ ، والصيغة بهذا الشكل وردت في اللغة في ألفاظ قليلة مثل : طُوَّال أي طويل" جدًا ، وعُجَّاب أي عجيب وحُسَّان ، وجُمَّال أي جميل ، وقُرَّاء لكثيري القراءة ، ووُضَّاء أي وضيء انظر التحرير والتنوير مجلد ١٤ ٢٩ / ٢٠٧

(٣) الحشر / ٢٣

(٤) الجمعة/ ١

وهو اسم من أسماء الله ـــ تعالى ـــ من معانيه : الطاهر والمبارك البليغ في النزاهة عما يُستقبح ، المُنزه عما يوجب نقصانًا ، فهو تعالى مُنزّه عن الأضداد والأنداد والصاحبة والولد ، ونظيره " السبوح " بيد أنه لم يرد في كتاب الله ؛ لكنه جاء في الحديث الصحيح : " سبوح قُدُّوس " (١) .

(٥) صيغة فُعُلّ

ورد من صيغة "فُعُلّ" في القرآن الكريم لفظ واحد هو "عُتُلّ" وجاء في موضع واحد في قوله تعالى : ﴿ عُتُلّ بعد ذلك زنيم ﴾ (٢) .

واختُلف في دلالة لفظ " عُتُل " على أقوال (٣) وهو على العموم يحمل معاني الغِلظة والجفاء . وقد جاءت " البنية " في سياق صفات متعددة لبعض الكافرين (٤) قال تعالى : ﴿ ولا تُطع كلَّ حلاَّف مهين * همَّاز مشَّاء بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ للخير مُعْتَدٍ أثيمٍ * عُتُل بعد ذلك زنيم ﴾ (٥) .

وجملة ما وصف به هؤلاء أنهم :

- كثيرو الحلف .
- ضعفاء الرأي .
- مشّاءون بالنميمة .
- أشحة على الخير .
- غلاظ الجسم قساة القلوب .
- أدعياء بين عشيرتهم .

---

(١) انظر لسان العرب مادة (ق . س . س) ، والكشاف ٤ / ٨٥ ، وأبا السعود ٨ / ٢٣٣ ، والبيضاوي ٢ / ٤٨٣

(٢) القلم / ١٣

(٣) قال ابن منظور : (العُتُلّ : الشديد ، وقيل : الأكول المنوع ، وقيل : هو الجافي الغليظ ، وقيل : هو الجافي الخُلُق ... وقيل : هو الشديد من الرجال والدواب .. وقيل : هو الشديد الخصومة) لسان العرب مادة (ع . ت . ل) .

(٤) قيل نزلت الآيات في " الوليد بن المغيرة " وقيل الأسود بن عبد يغوث وقيل الأخنس بن شريف وقيل نزلت في أبي جهل بن هشام . انظر الصاوي على الجلالين ٤ / ١٩٧ ، والقرطبي ١٠ / ٦٩٥٨

(٥) القلم/ ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(في حديث شداد بن أوس ، قلت : يعني لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : وما العُتُلّ الزنيم ؟ قال : الرحيب الجوف ، الوتير الخُلق ، الأكول ، الشروب ، الغشوم ، الظلوم) (١) .

وجاءت الصفات في هذا السياق القرآني على زنة أوزان المبالغة للدلالة على تجاوز الحد في كل صفة ، وبلوغه المنتهى الذي يمكن الوصول إليه من الإفساد وسوء الأصل والرأي والطبع كما يحوي السياق في طيَّاته إشارتين : الأولى : هي أن المَعْنيِّين بهذه الأوصاف كانوا على هذا القدر السيئ المبالغ فيه لسلوكهم المَشين ، وطبعهم اللئيم .

والإشارة الأخرى : هي زجر'' لكل إنسانٍ أن يتصف بأيٍ منها مع لفت الأنظار إلى أن نفي المبالغة ـ كما اعتدنا في السياق القرآني ـ هو نفي للأصل .

(٦) صيغة فَيْعول

ورد من صيغة " فَيْعول " في القرآن الكريم مثال'' واحد'' هو :

(القيوم) (٢)

قرأ الجمهور " القيوم " على وزن فَيْعول ، أصله قيووم ، اجتمعت الياء والواو ، وسبقت إحداهما بالسكون ، فَقُلِبَتْ الواو ياءً ، وأدغمت فيها الياء والبنْية **للمبالغة** (٣) . والقيوم : اسم الله تعالى الأعظم ، فُسِّر بأنه القائم بذاته ، المُقوِّم لغيره ، وفسروا القيام بوجوب الوجود المستلزم لجميع الكمالات ، والتنزُّه عن سائر وجوه النقص (٤) .

---

(١) البحر المحيط ٨ / ٣٠٤

(٢) ورد بهذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاث مرات هي :
في قوله تعالى : " الله لا إله إلا هو الحيّ **القيوم** " البقرة / ٢٥٥
وفي قوله تعالى : " الله لا إله إلا هو الحيّ **القيوم** نزل عليك الكتاب " آل عمران / ٢
وقوله تعالى : وعنت الوجوه للحي **القيوم** وقد خاب من حمل ظلماً " طه/ ١١١

(٣) قرأ ابن مسعود وابن عمر وعلقمة والنخعي والأعمش (القيام) ، وقرأ علقمة أيضاً " الـ القيم " انظر البحر المحيط ٢ / ٢٨٧ .

(٤) انظر روح المعاني ٣ / ٨

ومـــن معانـــي هذا الاسم العظيم : المبالغ في القيام تدبير خلقه ؛ فلا يشـــغله شأن'' عن شأن ولا تخفى عليه خافية ، وقوَّم السماء وزينها وبسط الأرض وجمَّلهـــا ، وأرضى كُلَّ إنسان بما قسم له من غير تعب يحصل له من ذلك [١] والمقصود إثبات عموم العلم له ، وكمال الحياة وإبطال إلاهية أصنام المشركين [٢] .

(٧) صيغة فُعِّيـــل

ورد من هذه الصيغة في القرآن الكريم مثال'' واحد'' هو :

"دُرِّي " [٣] .

كقولـــه تعالى : ﴿ كَأَنَّهَا كَوْكب'' دُرِّي ﴾ [٤] . (يُشبِّه الزجاجة في إنارتها بكوكب دُرِّيّ ، وذلك يحتمل معنيين ، إما يريد أنها تضيء بالمصباح الـــذي فـــيها ، وإمـــا أن يريد أنها في نفسها شديدة الضوء لصفائها ، ورقَّة جوهـــرها ، وهـــذا أبلغ لاجتماع نورها مع نور المصباح والمراد بالكوكب الدُّرِّي أحد الدراري المضيئة : كالمشترى ، والزهرة وسهيل ونحوها) [٥] .

قال ابن منظور : (كوكب'' دُرِّيء على فُعِّيل : مندفع في مُضيِّه من المشرق إلى المغرب) [٦] .

والمظهر البلاغي ـــ هنا ـــ تكثيف الدلالة الناشئ من ظـــــاهر البنية (الـــدال على المبالغة) ومن عمقها ؛ إذ تتضمن معنيين حسب توجيه أصل الكلمة فلفظ " دُرِّي " إما من " الدُّر " ، وإما من " الدَّرء " أي الدفـــــــع

---

(١) انظر الصاوي على الجلالين ١ / ١٠٧

(٢) لأن المشـــركين كانوا يعترفون بأن مدبر الكون هو الله تعالى ؛ وإنما جعلوا آلهتهم شفعاء وشركاء ومقتســـمين أمـــور القبائل . والمشركون من اليونان كانوا قد جعلوا لكل إله من آلهتهم أنواعًا من المخلوقات يتصرف فيها وأمما من البشر تنتمي إليه . انظر التحرير والتنوير ٣ / ١٨ ، ١٩

(٣) جاء في موضع واحد في القرآن الكريم في قوله تعالى : " كأنها كوكب'' دُرِّي " النور/ ٣٥

(٤) النور/ ٣٥

(٥) التســـهيل ٣ / ٦٨ ، قرأ نافع دُرِّي بضم الدال وتشديد الياء بغير همزة ولهذه القراءة وجهان : إما أن يُنسب الكوكب إلى الدُّر لبياضه وصفائه أو يكون مُسهَّلاً من الهمز وقُرئ بالهمز وكسر الدال {دِرِّيء} وبالهمـــز وضم الدال {دُرِّيء} وهو مشتق من الدرء بمعنى الدفع . انظر التسهيل ٣ / ٦٨

(٦) لسان العرب مادة (د . ر . أ) .

فعلـى الأول تكـون البنـية دالة على أن الكوكب متلالئ مضيء ، يكاد أن يستنير من دون إنارة لمنتهى صفاء الزجاجة وفرط رقتها ، وإمـا من " الدرء " وعلى هذا تكون " البنية " دالة على سرعة الاندفاع أو قوة دفع الظلام بضـوئه ، أو أن يكون المقصود أن يدفـع بعض ضـوئه بعضًا مـن شدة اللمعان (١) .

(١) انظر البيضاوي ٢ / ١٢٥

obeikandl.com

(٢) أدوات للمبالغة

١ ــ بل .

٢ ــ حتى .

٣ ــ كاد .

٤ ــ لو .

٥ ــ مهما .

obeikandl.com

لا ريب أن " البلاغة " في ملمحٍ من ملامحها ــ تُفضي في النهاية إلى وسيلة ، وغاية ، الوسيلة : أدوات'' مخصوصة'' ، والغاية : جمال التصوير وبــراعة الإقــناع ، لــيجد المتلقي نفسه قد انفصل عن ذاته ، وانصهر في معايشةٍ حميمةٍ مع العمل الفني . ومن ثَمَّ تكون البلاغة على هذا النحو هي البراعة في استخدام الأدوات التي تحقق أقصى درجات الجمال { مضمونــًا وشكلاً } ليتم ذاك التواصل الحميم بين العمل الفني والمتلقي (١) .

ومن هذا القبيل " المبالغة " فلها ــ أيضًا ــ أدوات لغوية ، هي قدْر'' مُشْــترك بيــن اللغوييــن والبلاغيين ، ضبطها اللغويون ووظّفها البلاغيون الأوّلون ينصبُّ اهتمامهم على الأحكام صحةً وخطــأً ، والآخرون يحتكمون إلى الجمال وما تمايزت به تلك الأدوات عن غيرها فنيــًا .

وهــذا بدوره لا يعني أن الأداة نفسها تشي بمضمون المبالغة ، وإنما تُســتقى الدلالة من خلال السياق ، وتكون الأداة عاملاً مهمــًا في الوصول إلى هذا الناتج الدلالي اللافت .

ومن هذه الأدوات : بل ــ حتى ــ كاد ــ لو ــ مهما .

---

(١) انظر تشبيهات المتنبي ومجازاته / ١٧ ، ١٨ .

الأداة الأولى : بل (١)

كمـا في قوله تعالى : ﴿ وَلا نكلفُ نفسًا إلا وُسْعَها ولَدَينا كِتابٌ يَنْطِقُ بـالحقِّ وهـم لا يُظلمون * **بل قلوبهم في غَمْرةٍ من هذا** وَلَهُم أعمالٌ من دُون ذلكَ هم لها عَامِلون ﴾ (٢) .

المعنى : بل قلوب الكافرين في غطاء وغفـلة عن هذا القـرآن و (أصل الغَمْر : إزالة أثر الشيء ، ومنه قيل للماء الكثير الذي يزيل أثر سيله غمر وغامر .. والغَمْرة : معظم الماء الساتر لمقرها وجعل مثلاً للجهالة التي تغمر صاحبها) (٣) .

قـال ابن عاشور : (انتقال إلى ما هو أغرب مما سبق ، وهو وصف غمرة أخرى انغمس فيها المشركون ، فهم في غمرة غمرت قلوبهم وأبعدتها عـن أن تتخلق بخلق الذين هم من خشية ربهم مشفقون كيف وأعمالهم على الضد من أعمال المؤمنين تناسب كفرهم ، فكلٌ يعمل على شاكلته) (٤) .

وواضح أن سبب غيِّهم ليس هو تكليفهم أعمالاً فوق طاقتهم ولهذا قال الله عز وجل : ﴿ وَلا نُكلِّف نفسًا إلا وسعها ﴾ ؛ بل حقيقة غيِّهم وضلالهم في قلوبهم ذاتها ، فهي في غمرة لا ترى من خلالها الحق الذي جاء به القرآن !

ومـناط المـبالغة في استعارة " الغمرة " (٥) أي الماء الكثير لزيادة الجهل والضلالة التي طُمست فيها قلوب هؤلاء ، وصرف العطف " بل " أكد هذا المعنى بالانتقال الذي قال عنه ابن عاشور " انتقـال إلـي ما هـو

---

(١) بل : حرف عطف يفيد الإضراب والإبطال والانتقال من غرض إلى غرض انظر مغني اللبيب لجمـال الدين بن هشام الأنصاري ــ دار إحياء الكتب العربية ــ عيسى البابي الحلبي وشركـاه ١ / ١٠٣

(٢) المؤمنون /٦٢ ، ٦٣ .

(٣) المفردات / ٦١٤ .

(٤) التحرير والتنوير مجلد ٩ ١٨ / ٨٠ .

(٥) انظر تلخيص البيان في مجازات القرآن ــ الشريف الرضي ــ تحقيق د . علي محمود مقلد دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ــ بيروت ــ لبنان ١٩٨٦م / ١٩٨ .

أغـرب ممـا سـبق " ـ كما ذكرت آنفـًا ـ فأسهم بهذا في جلاء المبالغة وكشف جمالياتها .

كذلك في قولهِ تعالى : ﴿ وَقَال الذين اسْتُضْعِفوا للذين اسْتَكْبروا **بل مَكْرُ اللـيل والنهارِ** إذ تأمُرُوننا أن نكفرَ بالله ونجعلَ له أندادًا وأسَرُّوا الندامةَ لما رَأوا العذابَ ﴾ (١) .

قـال أبـو حيان (" بل مكر الليل والنهار " أي : ما كان إجرامنا من جهتنا بل مكركم لنا دائمًا ، ومخادعتكم لنا ، ليلاً ونهارًا ؛ إذ تأمروننا ونحن أتـباع لا نقدر على مخالفتكم ، مطيعون لكم ـ لاستيلائكم علينا ـ بالكـفر بـالله ، واتحـاد الأنـداد وأضيف المكر إلى الليل والنهار ... على الإسناد المجازي كما قالوا : ليل'' نائم) (٢) .

واللافـت ـ هـنا ـ هذه الكثافة المتبلورة في الشحنات المتزايدة من المكـر المتـتابع ، الذي استغرق الليل ـ كلَّ الليل ـ واستوعب النهار كل الـنهار ومـا هما في الحقيقة إلا ظرفان حدث فيهما المكر ، لكن إن دل هذا فإنمـا يـدل دلالة ناطقة على المنتهى الذي بلغه هؤلاء الرؤساء في إضلال الأتـباع قـال الشريف الرضي : (وفيه أيضًا زيادة فائدة وهي دلالة الكلام علـى أن مكـرهم كان متصلاً غير منقطع في الليـل والنهار كما يقـول القائل : مازال بنا سير الليل والنهار حتى وردنا أرض بني فلان ، وهذا دليل علـى اتصـال سيرهم في الليل والنـهار من غـير إغباب ولا إراحـة ركاب) (٣) .

ومهما كان دور الأداة " بل " ـ هنا ـ إضرابًا ، أو ابتداءً أو انتقالاً فقـد أدَّت إلـى تحوُّل دلالي حميم الصلة بتهيئة المتلقي لاستقبال تلك الدلالة المجازية المتمثلة في المجاز العقلي .

---

(١) سبأ / ٣٣ .

(٢) البحر المحيط ٧ / ٢٧٠ .

(٣) تلخيص البيان / ٢٤٨ .

ومـــثله في قوله تعالى : ﴿ أَءُلْقِيَ الذِّكْـــرُ عليه من بيننا بل هو كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ (١) .

(الأشَر : شدة البَـــطر ، وقد أشرَ يأشرُ أشَرًا) .

قال تعالى : ﴿ سَيَعْلَمُونَ غدًا من الكَذَّابُ الأَشِرُ ﴾ (٢) . ، فالأشَر أبلغ مـــن البَـــطر ، والبَـــطر أبلغ من الفَـــرَح) (٣) ، وكلها تدور حول معاني التجبر والـــعُجْب بالنفس والادِّعاء .

قال ابن منظور : (الأشَر : المَـــرَح ، والأشَر : البَـــطر .. وقيل أشدُّ البَـــطر) (٤) .

ومـــن هـــنا فحـــدُّ " الأشَر " الأدنى : الفَـــرَح { بالمعنى المذموم } ، وحَـــدُّه الأوســـط البَـــطر والمَـــرَح ، فجاء السياق القرآني بالحد الأعلى في الدلالـــة " الأشَر " أضف إلى ذلك مجيء هذه اللفظة الدالة على المبالغة بعد لفظة " كذاب " وهي ــ أيضًا ــ دالة إلى المبالغة ، فهما تُلمحان بهـــــذا " الاختيار " في السياق إلى تجاوز الحد مرتين : مرة في " الكذب " ، وأخرى فـــي " الأشَر " ؛ إذ انَّهم هؤلاء المضلون " صالحـــًا " ــ عليه السلام ــ أنه مُـــدَّع للنـــبوة ، مُـــبالغ في الكذب ، هو ليس كذب الضعفاء المتنصلين من أفعـــالـــِّهم ؛ بـــل هو كذب البَـــطر في طلب العلو ، والاستنكاف من البشر بادعـــاء النـــبوة طلبـــًا للرياسة والشرف ، مثـــل هذا عندهم بلوغ الغاية في الشطط والتجاوز في الحد .

كذلـــك قولـــه تعـــالى : ﴿ بل يُريد كُلُّ امرئٍ منهم أن يُؤتَى صُحُفًـــا مُنَشَّـــرة ﴾ (٥) . المعنى أن كل واحد من هؤلاء المجرمين يطمع أن ينزل عليه كتاب'' من الله كما أنزل على نبيِّنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم .

---

(١) القمر/ ٢٥ .

(٢) القمر / ٢٦ .

(٣) المفـــردات /٧٧ ، ثـــم قال الراغب معرفـــًا الفـــرَح : " فإن الفـــرَح .. وإن كان في أغلب أحواله مذمومـــًا لقولـــه تعالى : (" إن الله لا يحب الفرحين " القصص/ ٧٦ فقد يحمد إذا كان على قدر ما يجب وفي الموضع الذي يجب ، كما قال تعالى : " فبذلك فليفرحوا " يونس/ ٥٨) .

(٤) لسان العرب مادة (أ . ش . ر) .

(٥) المدثر/ ٥٢ .

ويبرز أداء المبالغة هنا في إرادتهم الطاغية أن يصبحوا مثل النبي ــ صلى الله عليه وسلم .. يوحى إليهم .. وتنزل عليهم الكتب المقدسة حسدًا للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعلوًا من أنفسهم واستكبارًا (١) .

الأداة الثانية : حتى (٢)

كما في قوله تعالى : ﴿ **وَكُلوا واشْرَبوا حَتَّى يَتَبَيَّن لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجرِ** ﴾ (٣) .

شُبِّه أوّل ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق ، وما يمتدُّ معه من غبش الليل بخيطين أبيض وأسود ، واكتُفي ببيان الخيط الأبيض بقوله " من الفجر " عن بيان الخيط الأسود لدلالته ، وبذلك خرجا عن الاستعارة إلى التشبيه (٤) .

ويتضافر معنى " حتى " الغائي مع سياق القرآن الدال على الحدِّ الذي ينتهي عنده الأكل والشراب في إمكان الاستمرار فيهما حتى الإسفار المُبين " حتى ينتشر النور في الأفق وعلى قمم الجبال وليس هو ظهور الخيط الأبيض في السماء وهو ما يُسمَّى بالفجر الكاذب " (٥) .

---

(١) انظر التسهيل ٤ / ١٦٣ ، قال صاحب الظلال : " هو الحسد للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يختاره الله ويوحي إليه ، والرغبة الملحة أن ينال كل منهم هذه المنزلة ، وأن يؤتى صحفًا تنشر على الناس وتعلن .. ولابد أن الإشارة ــ هنا ــ كانت بصدد الكبراء الذين شق عليهم أن يتخطاهم الوحي إلى محمد بن عبد الله ، فقالوا : " لولا نُزِّل هذا القرآن على رجلٍ منالقريتين عظيم ؟ " . ولقد علم الله أين يضع رسالته واختار لها ذلك الإنسان الكريم الكبير العظيم . فكان الحَنَق الذي يغلي في الصدور ، والذي يكشف عنه القرآن ، وهو يعلل ذلك الشماس والنفار " . في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ دار الشروق ــ ط الثانية عشرة ١٩٨٦م ــ ١٤٠٦هـ ٦ / ٣٧٦٢ ، ٣٧٦٣ .

(٢) حتى : حرف يأتي لأحد ثلاثة معان : انتهاء الغاية وهو الغالب ، والتعليل ، وبمعنى إلا في الاستثناء وهذا أقلها وقل من يذكره . انظر مُغني اللبيب ١ / ١١١ واستخدمت في النماذج المذكورة على المعنى الأول فقط .

(٣) البقرة /١٨٧ .

(٤) انظر البيضاوي ١ / ١٠٧ ، " والتشبيه هنا أبلغ من الاستعارة ؛ لأن الاستعارة لا تكون إلا حيث يدل عليها الحال ، أو الكلام وهنا لو لم يأت من الفجر لم تعلم الاستعارة ، ولذلك فهم الصحابة الحقيقة من الخيطين قبل نزول " من الفجر " حتى إن بعضهم وهو " عدي بن حاتم " غفل عن هذا التشبيه وعن بيان قوله " من الفجر " فحمل الخيطين على الحقيقة وحكي ذلك لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فضحك وقال : إن كان وسادك لعريضًا " البحر المحيط ٢ / ٥٧ .

(٥) في ظلال القرآن ١/ ١٧٥ .

كذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الذين كذَّبوا بآياتنا واسْتَكْبروا عنها لا تُفتَّحُ لهم أبوابُ السماءِ ولا يَدْخلون الجنةَ حتى يلجَ الجملُ في سمِّ الخياط ﴾ (١) .

قال أبوالسعود : (أي حتى يدخل ما هو مثل'' في عِظم الجُرْم فيما علم في ضيق المسلك وهو ثقبة الإبرة وفي كون الجمل مما ليس من شأنه الولوج في سمِّ الإبرة **مبالغة** في الاستبعاد) (٢) .

فناسب " الجمل " ــ مثلاً ــ لعِظم الحجم ، وناسب " ثقب الإبرة " ــ مثلاً ــ لضيق المسلك . وأنت إن رُمْتَ ضخامةً أعظم من " الجمل " فلن تجد إلا " الفيل " ــ مثلاً ــ لكنه ليس ببيئة العرب مشهورًا كما " الجمل " ، وإن رُمْتَ ضآلةً أشد أو ضيقًا أعظم من ثقب الإبرة فقد تعجز حتى " في عصرنا الحديث " وهنا تتيح لك " المبالغة " قدرًا من التصور المحال في نفاذ هذه " الضخامة " من هذا الضيق ، تلك المفارقة العجيبة التي تمنح المتلقي محاولات يائسة في سبيل تَصوُّر إجراء هذه المعادلة الصعبة ؛ بل المستحيلة حتى في محاولة تصور إدخال جزء صغير ــ فقط ــ من جسم " الجمل " وليكن " خف ساقه " .

ومن هنا جاءت فكرة " الاستبعاد " و " التَّصوُّر المُحال " في دخول الكافرين المُكَذِّبين " الجنة " حتى يِنجح " الجمل " بهذه الطريقة من النفاذ من ذاك " الثقب " الضيق فكما أن ذلك مُحال مُمتنع فدخولهم الجنة ــ كذلك ــ مُحال مُمتنع وقد نجحت " المبالغة " أيما نجاح في منح " المُتلقي " هذا الوضوح وهذا البيان عن طريق التصور والتخيل . أضف إلى ذلك وجود الأداة " حتى " التي تدل على التماس الكافرين هذه الغاية ومحاولتهم دخول الجنة بكل سبيل وأنَّى لهم ذلك وقد جحدوا نعمة الباري وكفروا بآياته . فهنا مزج'' رائع'' بين " حتى " الدالة على الغاية الزمنية وبين المُحال نفسه ، وهو ولوج الجمل موطن المبالغة المقصودة وإنما جاءت " حتى " لتحديد الغاية التي لن تتحقق ، وكأن أقصى غاية المعنى يُسلِم إلى المُحال وهذا من بديع التصوير .

---

(١) الأعراف /٤٠ .

(٢) أبو السعود ٣ / ٢٢٧ .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَعلى الثَّلاثة الَّذين خُلّفوا حَتَّى إذا ضاقتْ عليهم الأرضُ بمـا رَحُبَـت وضاقت عليهم أنفسُهم وظنوا أن لا مَلجَـأ من الله إلا إليه ﴾ (١) .

هنا " الغاية " منوطة ببلوغ الهَم والغَم مبلغه من هؤلاء الثلاثة (٢) فقد ضـاقت عليهم الأرض على الرغم من رحابتها وسعتها ؛ وذلك لإعراض الناس عنهم بالكلية ، وهو مَثَل'' لشدة الحيرة ، " وضاقت عليهم أنفسهم " أي إذا رجعوا إلى أنفسهم ، فهم لا يطمئنون بشيء لعدم الأنس والسرور ، واستيلاء الوحشة والحيرة ، وذلك لأن الرسول ـ عليه السلام لمَّا دعا لمقاطعتهم ، كان أحدهم يلقي السلام على أقرب أقربائه فلا يرد عليه ، وفي العشر الأخر هجرتهم نساؤهم ، فزاد الخطب عليهم ، واعترتهم السآمة والملل ، اعتورتهم الهواجس والهموم .

ومـا ظَنُك بقومٍ تتكّرت لهم أرضهم ، وانفرطت وشائج المودة بينهم وبين أهليهم وعشيرتهم ، فضاقت عليهم الأرض ، والأرض لا تضيق حقيقة ، وإنما تضيق الأرض وتتسع بأهلها كما قال الشاعر :

لعمـرُك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

أما ضيق " النفس " فهذا من الجمال القرآني ؛ (لأن النفس في الحقيقة لا توصف بالضيق والاتساع ، وإنما المراد بذلك انضغاط القلوب بشدة الكرب وبلوغها منقطع الصبر) (٣) .

فـالقلوب أوعية " ربنا أفرغ علينا صبرًا " (٤) كأن الصبر فيض'' ينسكب في القلب ، ويُملأ بمادة الصبر ، وفي الحديث : " اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا " ، فالآية

---

(١) التوبة/ ١١٨ .

(٢) كـان كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع قد تخلفوا عن غزوة تبوك ٩ هـ بلا عذر ، فمكثوا خمسين يومـًا لا يكلمهم أحد ، أصابهم فيها شَتَّى ألوان الهَم والغَم والضيق حتى تاب الله عليهم .

(٣) تلخيص البيان / ٩٣ .

(٤) البقرة / ٢٥٠ .

مِـلْءٌ'' لوعاء القلب ، والحديث استفراغ القلوب من جملة الأحزان والهموم والغمـــوم ، فهي تتسع في الأولى بالملء ، وفي الأخرى بالاستفراغ وتضيق بالضد .

الأداة الثالثة : كاد [١]

كقوله تعالى : ﴿ مِنْۢ بعدَ ماَ كادَ يزيغُ قلوبُ فريقٍ مِنْهم ﴾ [٢] .

فقـــد تـــاب الله علـــى المهاجرين والأنصار بعد ما حدث منهم بعض الهفـــوات في غزوة " تبوك " حيث تباطأ البعض وتثاقل آخرون عن الجهاد وفـــي قـــوله تعالى : ﴿ من بعد ما كاد ﴾ بيان'' لتناهي الشدة وبلوغها الغاية القصـــوى إذ شرعوا ــ فعلاً ــ في التباطؤ مثل " أبي خيثمة " ؛ بل وصل الأمـــر إلـــى حدٍّ التخلف ــ تمامـًا ــ عن غزوة " تبوك " كما حدث للثلاثة الذين خلفوا مثلما أوضحت ــ آنفـًا .

فقـــد كادت الفتنةُ أن تتمكن منهم ، وأوشك أن يبلغ الزيغُ منهم مبلغه ، ودَّلـــت " كـــاد " على نفي الشروع الفعلي في الأمر ، ونظرًا لأنهم من أهل الإيمـــان فلم تنجح تلك " الحملة " التي تولَّى كبرها الشيطان ، ولم تثبت أمام صـــدق اليقيـــن وصـــفاء الإيمان بيْد أن مطـــارق النفس اللوَّامة ظلَّت تُلقي بقرعها على تلك الأنفس الأبيَّة ، فاعتـــورها من الضيق ما اعتورهـــا حتى

---

(١) " كـــاد : وضـــعت لمقاربـــة الشـــيء فُعل أو لم يُفعل " لسان العرب مادة (ك . و . د) . قال أبو حيـــــَّان : (يكـــاد مضـــارع التي هي من أفعال المقاربة " وهذه الأفعال هي من باب كان ترفع الاسم وتنصب الخبر إلا أن خبرها لا يكون إلا مضارعـًا ولها باب'' معقود'' في النحو ، وهو نحو مـــن ثلاثيـــن فعلاً ذكرها أبو اسحاق البهاري في كتابه " شرح جمل الزجاجي " البحر المحيط ١ / ٢٢٥ .

(٢) الـــتوبة /١١٧ ، وتمـــام الآية " لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العُسرة من بعد ما كاد يزيغ'' قلوبُ فريقٍ منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف'' رحيم " .

obeikandl.com

ظنوا بعد الشدة والكرب ﴿ أن لَّا مَلْجأ من اللَّهِ إلا إليه ﴾ (١) فكانت رحمة الله السابغة ﴿ ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾ (٢)

ومثله قوله تعالى : ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ﴾ (٣)

مبالغة في وصف صفاء الزيت ونقائه ، فقد أوشك أن يُضيء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط وبيصه (٤) قال الشريف الرضي : { هذه مبالغة في وصف الزيت بالصفاء والخلاصة على طريق المجاز والاستعارة (٥) حتى يقارب أن يُضيء من غير أن يتصل بنارٍ أو يُناط بـذُبال } (٦) .

فإن هذا الزيت بلغ من النقاء والصفاء درجة يكاد يضيء منها من غير نار فتكون الإنارة بـه أتـمَّ وأضوأ . والزجاجة بهذا الوصف أدعى مع نور المصباح لتهيئة كمال النور الممثل به .

كذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذين كفروا لـيُزلقونك بأبصارِهم لَمَّا سَمِعوا الذكرَ ﴾ (٧) .

---

(١) التوبة / ١١٨ .

(٢) التوبة / ١١٨ .

(٣) النور / ٣٥ .

(٤) انظر التسهيل ٣ / ٦٨ ، البيضاوي ٢ / ١٢٤ .

(٥) القول أن في الآيـة مجازًا واستعارةَ فيه نظر ! فالآية تكون كذلك لو جاء النسق القرآني " زيتها يضيء " ، ومجيء " يكاد " مانع" من ايراد المجاز ، لأن القول على الحقيقة ، إذ هو مبني على المقاربـة لا حدوث الفعل . والله أعلم . والظاهر أن " الشريف الرضي " في كتابه " تلخيص البيان " كثـيرًا مـا يُعـوِّل علـى ألفاظ المجاز والاستعارة ، وليس ثمة مجاز ولا استعارة وليس المقام ولا موضوع البحث يتسعان لبسط هذا الموضوع هنا .

(٦) تلخيص البيان / ٢٠٣ .

(٧) القلـم / ٥١ ، قـال ابن منظـور : (أزلقه ببصره : أحـدَّ النظـر إليه وكذلك زَلـقَه زَلـقـًا وزلـقَّه (عن الزجاجي) ويقال : زَلَقه إذا نحـَّاه عن مكانه . وقوله تعالى : " وإن يكاد الذين كفروا لـيُزلقونك بأبصارهم " أي ليصيبونك بأعينهم فـيُزيلونك عن مقامك الذي جعله الله لك .. الفراء : لـيُزلقونك : أي ليرمون بك ويُزيلونك عن موضعك بأبصارهم ، كما تقول كاد يصرعني شدَّة نظره .. قـال أبو إسحاق : مذهب أهل اللغة في مثل هذا أن الكفار من شدة إبغاضهم لك وعداوتهم يكادون بـنظرهم إليك نظر البغضاء أن يصرعوك ، يقال : نظر فلان إليَّ نظرًا كاد يأكلني وكاد يصرعني ، وقال الـقُتَيْبِيّ : أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظرًا شديدًا بالبغضاء يكاد يُسقطك) لسان العرب مادة (ز . ل . ق) .

أي : يـنظرون إليك نظرًا شديدًا يكاد أن يصرعك ويُسقطك من مكانك وقيل أرادوا أن يصيبوه بالعين (١).

إنها نظرات'' آثمة مِلـؤها الغيظ والحقد والحسد ، وكانت توجّه إلى رسول الله ــ صـلى الله علـيه وسـلم ــ لتزل قدمه ، وهم يسعون في ذلك بشتى الطــرق للعــداوة المفرطة وقد كادوا أن ينجحوا في ذلك لولا عصمة الله له وفــي الحــديــث : (" إن العــيــن لتُــدخلُ الرجــلَ الــقبرَ ، والجملَ القِدرَ) (٢).

الأداة الرابعة : لو (٣)

كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ'' مَسْحُورُونَ ﴾ (٤) .

اقترح بعض المضلين أن يروا الملائكة ﴿لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت مــن الصادقين ﴾ (٥) والآيتان ردٌ عليهما أي لو فرض أننا أصعدناهم إلى السماء ، وفتحنا لهم بابًا من أبوابها ، فظلوا يصعدون حتى شاهدوا الملائكة وآيــات الله فــي الســماء لقالوا ــ لفرط المعاندة والاستكبار ــ إنما شُدَّت أبصارنا وخدعنا بهذا الارتقاء والصعود ، وما هو في حقيقة الأمر إلا سحر جديد سحرنا به محمد .

---

(١) انظر الصاوي على الجلالين ٤ / ٢٠٣ .

(٢) أبو السعود ٩ / ٢٠ .

(٣) لــو : تســتعمل علــى خمسة أوجه (أحدهما) : لو المستعملة في نحو لو جاءني لأكرمته وهذه تفيد ثلاثة أمور أحدها الشرطية أعني عقد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها ، والثاني : تقييد الشرطية بالزمــن الماضــي ، والثالث : الامتناع . (الثاني) : أنها تفيد امتناع الشرط وامتناع الجواب جميعًا وهــذا هــو القول الجاري على ألسنة المُعربين ونص عليه جماعة من النحويين وهو باطل بمواضع كثيرة منها قوله تعالى : ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُــلاً ما كانوا ليؤمنوا . ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يَمُــدُّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمــات الله . (الثالث) : أنها تفيد امتناع الشرط خاصة ولا دلالة لها على امتناع الجواب ولا على ثــبوته ولكــنه إن كــان مساويًا للشرط في العموم كما في قولك لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودًا لزم انتفاؤه ؛ لأنه يلزم من انتفاء السبب المساوي انتفاء مسببه وإن كان أعم كما في قولك لو كانت الشمس طالعة كان الضوء موجودًا فلا يلزم انتفاؤه وإنما يلزم انتفاء القدر المساوي منه للشرط وهذا قول المحققين . (الرابع) : أن تكون للتمني نحو لو تأتيني فتحدثني قيل ومنه " فلو أن لنا كرة " أي فليت لنا كرة . (الخامس) : أن تكون للعرض نحو لو تنزل عندنا فتصيب خيرًا . انظر مغني اللبيب ١/ ٢٠٥ ــ ٢١٥ .

(٤) الحجر/ ١٤ ، ١٥ . (٥) الحجر / ٧ .

obeikandi.com

وأنت إن أردت دليلاً أبلغ من هذا في كشف مدى المكابرة وفرط العناد لن تجد أبينَ من هذا ، ففي الوقت الذي تمثل فيه هذه المشاهدات مراحل يقينية عالية ، لم يُعْطها إلا الأنبياء ، تُقابلُ بهذا العَمَه والشطط الذي إن دل فإنما يدلُّ على سوء تقدير للمواقف ، وعناد بليغ مستمر ، وإصرار ــ على غير العادة ــ على الكفر مستكنٌّ في ذواتهم وضمائرهم أرأيت أبعد من هذا ؟! يطلبون الرؤية ثم يُنكرونها ويبغون الآية ثم يصدون عنها وهم مستكبرون ، فإن أولئك لو كانوا يملكون فِطرًا نقية ونفوسًا سَوِيَّة لكانت هذه الشواهد الكونية التي تتراءى للناظرين كافيةً في الدلالة على وجود الله ــ سبحانه .

لَه في كُلِّ شيء آية تَدُلُّ على أنَّه الواحدُ .

كذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ به الجبالُ أو قُطِّعَتْ به الأرضُ أو كُلِّم به الموتى بل لِلَّهِ الأمرُ جميعًا ﴾ (١) .

قال أبو حيَّان : (قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : إن الكفار قالوا للنبيِّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ سيِّر جبلي مكة فقد ضُيِّقَا علينا ، واجعل لنا أرضًا غراسًا ، وأَحْي لنا آباءنا وأجدادنا وفلانًا وفلانًا فنزلت معلمة أنها لا يؤمنون ، ولو كان ذلك كله ، وَلَمَّا ذكر تعالى علة إرساله ، وهي تلاوة ما أوحاه إليه ، ذكر تعظيم هذا الموحي ، وأنه لو كان قرآنًا تسير به الجبال عن مقارها ، أو تقطع به الأرض حتى تتزايل قطعًا قطعًا ، أو تكلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن ، لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف كما قال : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ﴾ (٢) فجواب (لو) محذوف وهو ما قدرناه (٣) . وحذف جواب " لو " لدلالة المعنى عليه جائز) (٤) .

---

(١) الرعد /٣١ .

(٢) الحشر/ ٢١ .

(٣) يقصد إما : " لما آمنوا " وإما " لكان هذا القرآن " فقد أوردهما معًا وهما خلاصة تقدير المفسرين لحذف جواب " لو " .

(٤) البحر المحيط ٥ / ٣٨١ ، ٣٨٢ .

توجيه المعنى ــ هنا ــ سيتوقف بالضرورة على تقدير حذف جــواب " لو " فعلى تقدير الحذف " لما آمنوا " يتشابه هذا الموضع بالموضع السابق فــي الإشارة إلى أسباب الهداية وأسباب الضلال فهؤلاء القوم لو أن قرآنــًا سـماويـًا أُوحــي إلـيهم قد سُيرت بتلاوته الجبال وشُققت به الأرض وخوطب به الموتى حتى أجابت وتكلمت بعد أن أحياها الله بتلاوته لما آمنوا . وذلك لإفراطهم في العناد والكفر وهذا المعنى شبيه'' بقوله تعالى :﴿ وَلَوْ أَنَّـنا نزلـنا إليهم الملائكةَ وكلمهم الموتى وَحَشَرْنا عليهم كُلَّ شيءٍ قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء اللَّه ﴾ (١) .

وعلى تقدير الحذف " لكان هذا القرآن " يكون المعنى : لو كان كتاب'' مــن الكتــب السماوية المنزلة بهذه الأوصاف السابقة لكان هذا القرآن لكونه غاية في الهداية والتبصرة ، ونهاية في النذارة والبشارة .

وشــبيه'' بــه قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنْزلنا هذا القرآنَ على جَبَـلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِـعًا مُتَصَـدِّعًا مِـنْ خَشيةِ اللهِ وتلك الأمثــالُ نَضْرِبها للنَّاس لعلَّـهم يَتفكَّرون ﴾ (٢) .

قال ابن جُزيّ : (الآية توبيخ'' لابن آدم على قسوة قلبه وقلة خشوعه عــند تــلاوة القرآن ، فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدع لو سمع القرآن فما ظنك بابن آدم) (٣) .

إنه مَثَل'' ساقه الله تعالى لبيان قسوة الذين نسوا الله ونسوا ذكره وهو مــن ناحية أخرى حثٌ على تأمل مواعظ القرآن وأنه لا عذر لأحد في ترك التدبر والتفكر في آياته ، وكل ذلك تمَّ بطريقَ التصوير حيث لو خوطب بهذا القــرآن الجبــال مــع تركيــب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرأيتها على صــــلابتها ورزانــتها خاشــعة متصــدعة ، قد تأثرت بإعجاز القــرآن ومعانيــه (٤)

---

(١) الأنعام / ١١١ .

(٢) الحشر /٢١ .

(٣) التسهيل ٤ / ١١١ .

(٤) انظر القرطبي ١٠ / ٦٧٦٨ .

وهـو فـي الوقـت نفسه لفت'' للإنسان عن طريق هذه المفارقـة الفنية العجيـبة : جـبل'' أشمُّ على صلابته يَرقَ ! وقلب ابن آدم على لينه يقسو ! فهل رأيت أبلغ من هذا بيانـًا ؟ ! .

كذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّما في الأرض من شجرةٍ أقلام'' والبحرُ يَمُـدُّه منْ بَعْده سَبْعةُ أبحرٍ ما نَفِدت كلماتُ الله إنَّ الله عزيز'' حكيم'' ﴾(١) قـال ابـن جُزيّ : (الآية إخبار بكثرة كلمات الله ، والمراد اتساع علمه ، ومعـنى الآيـة : أن شجر الأرض لو كانت أقلامـًا والبحر لو كان مدادًا ، يُصبّ فيه سبعة أبحر صبـًا دائمًا ، وكتبت بذلك كلمات الله لنفدت الأشجار والـبحار ولـم تنفد كلمات الله ؛ لأن الأشجار والبحار متناهية ، وكلمات الله غـير متناهية ، فإن قيل : لِمَ لمْ يقل والبحر مدادًا كما قال في الكهف : ﴿ قل لـو كان البحر مدادًا ﴾ (٢) فالجـواب أنه أغنى عن ذلك قوله : " يمده " ؛ لأنـه مـن قولك مدّ الدواة وأمدها فإن قيل لِمَ قال كلمات الله ولم يقل كلم الله بجمـع الكثرة ؟ فالجواب أن هذا أبلغ ؛ لأنه إذا لم تنفد الكلمات مع أنه جمع قلة ، فكيف ينفد الجمع الكثير) (٣) .

فالأصل أن علم الله ــ سبحانه ــ لا ينفد ، فجيء بمثال تقريبيّ إعانة للبشر على الفهم لا سيما أن مادة المثل مما يحيط بهم من بيئة وما ألفوه في حـياتهم فالعلمُ يُكتب بمداد وأقلام ، وأوسع ما يحيط به من سائل هو البحر وأكثر ما تقع عليه عينه مما ينفع أن يكون أقلامـًا : الأشجار ومن هنا كان المَـثل : لو أن شجر الأرض كان أقلامـًا كاتبةً والبحر ممدود'' بسبعة أبحـر مـا نفد علم الله ولنفدت كل الأشجار والأقلام لأنها متناهية ومحدودة وعلم الله لا محدود ولا متناهي .

ولهـذا تمـنح الأداة " لـو " الأسلوب سعةً في التصوير ، ومجالاً فياضـًا في تمثّل الشرط القائم على " الامتناع " غالبـًا ، حيث يتآزر في المعنى مع دلالة " المبالغة " القائمة على بلوغ أقصى المعنى وهذا كله يُلقـي

(١) لقمان /٢٧ .

(٢) الكهف/ ١٠٩ .

(٣) التسـهيل ٣ / ١٢٨ ، " وروي أن سبب الآية أن اليهود قالوا قد أوتينا التوارة وفيها العلم كله فنزلت الآية لتدل أن ما عندهم قليل من كثير .. وقيل إن سببها أن قريشًا قالـوا إن القرآن سنفد " التسهيل ٣ / ١٢٨ .

بظلالــه علــى المتلقي مما يجعله يتواصل تواصلاً حميمًا مع النظم القرآني فيدرك أغوار دلالته وفحوى مقاصده .

الأداة الخامسة : مهما [١]

جــاءت فــي موضع واحد من القرآن ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢] .

إذ قــال قــوم فــرعون على سبيل المبالغة في التحدِّي والتمادي في الإصــرار والعناد لا تحاول يا موسى معنا البتة ، فمهما أتيتنا من معجزات باهرة وبيِّنات فاصلة فلن نُصرَف عما نحن فيه ، ولن نؤمن لك مطلقــًا .

وثــمَّ بُعْــد" نفســي وراء تلــك المقولة ؛ إذ ــ غالبًا ــ ما يعتري المعاندين مثل هذا الجو النفسي الدافع لكل خير ، المانع لكل هُدى ، فيقطعون الطــريق علــى الحجة قبل إلقاء الحجة ، ويُعرضون عن الدليل قبل سماعه فيتَّــبعون أهواءهــم مهما كانت النتيجة ؛ بل ربما دعوا على أنفسهم اتباعًا للهــوى وإمعانًا في النفور ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٣] .

ولعــلَّ السر في الأداة " مهما " هو بلوغ أوج الإصرار ومنتهى العناد والتيئيس البالغ من مطمع الهداية .

---

(١) مهمــا : هي { ما }المضمنة معنى الجزاء ضُمَّت إليها { ما } المزيدة المؤكدة للجزاء في متى تخرج أخــرج إلا أن (الألــف) قلبت (هاءً) استثقالاً لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم أن (مه) هي الصوت الذي يصوت به الكاف و (ما) للجزاء كأنه قيل كف ما تأتــنا بــه . انظــر الكشاف ٢ / ٨٤ ، ٨٥ ولها ثلاثة معان : الأول : ما لا يعقل غير الزمان مع تضمن معنى الشرط ومنه الآية . الثاني : الزمان والشرط فتكون ظرفــًا لفعل الشرط ذكره ابن مالك وزعم أن النحويين أهملوه . الثالث : الاستفهام ذكره جماعة منهم ابن مالك . انظر مغني اللبيب لابن هشام ٢ / ١٩ ، ٢٠ .

(٢) الأعراف/ ١٣٢ .

(٣) الأنفال / ٣٢

(٣) طرائق أخرى للمبالغة

١ ــ ما جاء على أوزان الصفة المشبهة مُتضمنـًا معنى المبالغة

٢ ــ زوائد للمبالغة .

٣ ــ التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي .

٤ ــ إيثار صيغة المضارع .

٥ ــ وضع المصدر موضع الصفة .

٦ ــ تَوَخِّي اللفظ وفقـًا للمعنى .

٧ ــ إيثار الجمع .

٨ ــ مخاطبة المرأة بخطاب الذكور .

٩ ــ تغاير القراءات .

obeikandl.com

١ ــ ما جاء على أوزان الصفة المشبهة مُتضمنـًا معنى المبالغة .

ثمــة علاقة وثيقة بين الصفة المشبهة [١] وصيغ المبالغة ، فالأولى تعــنى الدلالة على معنى قائم بالموصوف بها على وجه الثبوت ، والأخرى معلــوم'' أنهــا تعنــي الزيادة والكثرة ، بَيْد أنه ــ أحيانــًا ــ تلتقي أوزان مشــتركة بينهما كما في وزن "فَعيل " ، و "فَعِل " [٢] . ومن هنا يحدث'' قَــدْر'' من الخلط والامتزاج ، وأحيانــًا الاضطراب في هذين الوزنين وفي غــيرهما من الأوزان في تعيين ما هو ألحق بصيغة المبالغة ، وما هو ألحق بالصــفة المشــبهة ، على الرغم أن الصرفيين حدُّوا حَدَّين فارقَيْن للتمييز بينهما ، من حيث التعدي واللزوم من جهة ، ومن حيث الثبوت والكثرة من جهــة أخرى . فما كان من الفعل اللازم كان أولى أن يُنسب إلى الصــفة ، وما كان من المتعدي كان أولى أن يُنسب إلى صيغ المبالغة وما كانت دلالته أقرب إلى الثبوت فهو صفة مشبهة ، وما كانت دلالته أقرب إلى كثرة وقوع الفعــل وتكــراره فهو صيغة مبالغة . ومع هذا فبعض الصيغ لازالت تحمل بعض التباين بين المفسرين ومنها وزن " فعيل " فقد " تميز وزن فعيل بكثرة اســتخدامه للمــبالغة في الصفات الدالة على الطبائع وهو منقول عن الصفة المشبهة . فعليم يدل على أنه لكثرة علمه وتبحره فيه أصبح له طبيعة ثابتة ، وســجية ملازمــة " [٣] ويبرز هذا الجانب واضحــًا في أسماء الله الحُسنى نحــو " رفــيع الدرجات " [٤] قال أبو حيان : { احتمل أن يكون (رفيع) للمــبالغة علــى فعيل من رافع ، فيكون الدرجات مفعوله ، أي رافع درجات المؤمنين ، ومنازلــهم في الجنة .. واحتمل أن يكـــون

---

(١) الصــفة المشــبهة باســم الفاعل هي كل صفة مأخوذة من فعل غير متعدٍ ، لأنها إنما شُبهت باسم الفــاعل المــأخوذ من الفعل المتعدي فعملت عمله . ووجه الشبه بينهما أنها صفة كما أن اسم الفاعل كذلــك . وأنها متحملة للضمير كما أن اسم الفاعل متحمل ضميرًا ، وأنها طالبة للاسم بعدها كما أن اســم الفاعل طالبٌ للاسم بعده . انظر شرح جمل الزجاجي . الشرح الكبير لابن عصفــور الإشبيلي ١ / ٥٧٨ .

(٢) أوزان المــبالغة مرَّت في مبحث الصيغة وأما أشهر أوزان الصفة المشبهة فهي : { فَعِل ــ أَفعل ــ فعْــلان ــ فَعْل ــ فُعَال ــ فَيْعل ــ فَعِيل ــ فَعَل ــ فِعْل ــ فُعْل } انظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ٣ / ٢٢٢ والتطبيق الصرفي د . عبده الراجحي /٧٩ ــ٨١ .

(٣) أسماء الله الحسنى ــ دراسة في البنية والدلالة ــ د . أحمد مختار عمر ــ عالم الكتب ط الأولى ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م / ٩٦ .

(٤) فــي قولــه تعــالى " رفيع الدرجات ذو العرش " غافر/ ١٥ . وقد وردت في كتاب الله في هذا الموضع فقط .

(رفيع) فعيلاً من رَفعُ الشيءُ : علا ، فهو رفيع ، فيكون من باب الصفة المشبهة } [١] وسار على درجة من المفسرين في القول بهذه الاحتمالية بين المبالغة والصفة المشبهة ابن جُزي [٢] ، والصاوي على الجلالين [٣] ، وابن عاشور [٤] .

ومن الأوزان التي لاقت تباينًا ـ أيضًا ـ بين المفسرين وزن " فَعْلان " مثل غضبان وظمآن وعطشان ، فلا شك أنها صفة مُشبَّهة ، أولاً : للزوم فعلها ، ثانيًا : لثبوتها ، لكنَّ توجُّه المفسرين حيال اسم الله " الرحمن " ـ وقد ورد على الوزن نفسه ـ بدا مختلفًا ، فمنهم من نظر إلى " الدلالة " في تضمنها معنى المبالغة ، حيث هي أبلغ من " الرحيم " فنصَّ على أن لفظ " الرحمن " من أبنية المبالغة ومن هؤلاء : البيضاوي [٥] وأبو حيَّان [٦] ، والعكبري [٧] ، والصاوي [٨] ، ومن العلماء المعاصرين د . أحمد مختار [٩] .

ومنهم من نظر إلى أصل الوزن " فَعْلان " فنصَّ على أنه صفة مُشبَّهة ، لكنها تضمَّنت معنى المبالغة ، لكن هذا التضمُّن لا يخرجها عن كونها صفة مُشبَّهة ومن هؤلاء أبو السعود [١٠] ومن العلماء المعاصرين د . محمد عبد الخالق عضيمة حيث لم يذكر لفظ " الرحمن " من أبنية المبالغة وأوردها في أبنية الصفة المُشبَّهة [١١] وأميل لهذا الرأي ، لأن ألفاظًا كثيرة جاءت على أوزان الصفة المُشبَّهة متضمنة معنى المبالغة

---

(١) البحر المحيط ٧ / ٤٣٦ .

(٢) انظر التسهيل ٤ / ٣ ، ٤ .

(٣) انظر الصاوي على الجلالين ٤/ ٥ .

(٤) التحرير والتنوير مجلد ١١ ٢٤ / ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٥) انظر تفسير البيضاوي ١ / ٢٠٦ .

(٦) انظر البحر المحيط ١ / ١٢٥ .

(٧) انظر التبيان ١ / ٤ .

(٨) انظر الصاوي على الجلالين ٤/ ٣٢٢ .

(٩) انظر أسماء الله الحسنى / ٥٦ .

(١٠) انظر تفسير أبي السعود ١ / ١١ .

(١١) انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٧ / ٤٧ .

ومـــن هذه الألفاظ " لفظ " عنيد " [١] فالعنيد هو الطاغي الذي لا يقبل الحق ولايذعن له [٢] أو هو المعاند المتجاوز في الظلم [٣] وكلها دلالات تفيض بالمبالغة في الظلم والتعدي .

ومنه ما جاء على وزن " فَعَل " مثل " الصَّمَد " قال ابن منظـــــور : { الصَّمَد : من صفاته تعالى وتقدَّس ــ لأنه أصمدت إليه الأمور ، فلم يَقْضِ فـــيها غَيْره .. وقيل الصَّمد : السَّيِّد الذي ينتهي إليه السُّؤدد ، وقيل : الصمد السَّـــيِّد الـــذي قـــد انتهى سؤدده ، قال الأزهري : أما الله تعالى فلا نهايـــة لســـؤدده ؛ لأن سؤدده غير محدود ، وقيل : الصَّمد الدائم الباقي بعد فنـــاء خلقـــه .. وقيل : الصمد الذي صمد إليه كلُّ شيء أي الذي خلق الأشياء كلها لا يستغنى عنه شيء ، وكُلُّها دال على وحدانيته } [٤] وكلها دلالات تعني ألا نهايـــة لسؤدده ، وأنه هو الباقي الدائم ، وإحاطته ــ سبحانه ــ التامة بجميع خلقه .

ومنه ما جاء على وزن ُفعال مثل {ُأجَاج ــ ُعجَاب ــ ُفرَات }

الأولـــى: كمـــا في قوله تعالى : ﴿ وهذا مِلح'' ُأجاج ﴾ [٥] قال ابن منظور : { هو الشديد الملوحة والمرارة مثل ماء البحر } [٦] .

والثانـــية : كمـــا فـــي قوله تعالى : ﴿ أَجَعَل الآلِهَة إلهًا وَاحِدًا إنَّ هذا لشي'' ُعجاب ﴾ [٧] .

قـــال ابـــن منظور : { أمر ُعجَاب وُعجَّاب وَعجَب وعجيب .. على المبالغة .. قال صاحب العين : بين العجيب والعجاب فرْق'' ، أمـــا العجيب

---

(١) كما في قوله تعالى " واتبعوا أمر ُكلِّ جبَّار عنيد " هود ٥٩ .

(٢) انظر القرطبي ٤ / ٣٣٧٣ .

(٣) انظر الصاوي على الجلالين ٢ / ١٨٧ .

(٤) لسان العرب مادة (ص . م . د) .

(٥) الفرقان/ ٥٣ .

(٦) لسان العرب مادة (أ ، ج ، ج) .

(٧) ص/ ٥ .

فالعَجَبُ يكون مثله ، وأما العُجاب فالذي تَجاوز حَدَّ العجب } [١] .

والثالثة كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُم مَاءً فُرَاتًا ﴾ [٢] . قال ابن منظور : { الفُراتُ أشد الماءِ عذوبة } [٣] وبَيَّن أن " أجاج " مبالغة في شدة الملوحة ، و " عجاب " مبالغة في تجاوز الحد في العجب ، و " فرات " مبالغة في شدة العذوبة والسلاسة وقد جاءت جميعها على وزن "فُعال " من أوزان الصفة المُشبَّهة .

٢ ـ زوائد للمبالغة :

أ- زيادة ألف المطاوعة [٤] :

نحو : يخادعون [٥] ـ يسارعون ـ يدافع

مثال " يخادعون " قوله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ والذين آمنوا ﴾ [٦] قال أبو السعود : (وإيثار صيغة المفاعلة لإفادة المبالغة في الكيفية فإن الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعـًا أو في الكمية كما في الممارسة والمزاولة ، فإنهم كانوا مداومين على الخدع) [٧] وقال ابن عاشور : (أن يكون خادع بمعنى خدع أي غير مقصود به حصول الفعل من الجانبين ، بل قصد المبالغة . قال ابن عطية عن الخليل : يُقال خادع من

---

(١) كما في قوله تعالى " واتبعوا أمر كُلِّ جبَّار عنيد " هود/ ٥٩ .

(٢) المرسلات/ ٢٧ .

(٣) لسان العرب مادة (ف . ر . ت) .

(٤) قال السيوطي : (" وفَاعَل " وهو " للاشتراك في الفاعلية والمفعولية : كضاربَ زيدٌ عَمرًا ، فإن كُــلاً من زيد وعمرو من جهة المعنى فاعل ومفعول ؛ إذ فعل كُلٌّ واحدٍ منهما بصاحبه مثل ما فعل به الآخر) همع الهوامع ٣ / ٢٦٧ .

(٥) في اللسان : (الخَدْع : إظهار خلاف ما تخفيه .. قال الله عز وجل : " يخادعون الله " جاز يُفاعِلُ لغير اثنين ؛ لأن هذا المثال يقع كثيرًا في اللغة للواحد ، نحو عاقبت اللص .. قال الفارسيّ : قرِيء يخادعون الله ، ويخدعون الله ؛ قال : والعرب تقول : خادعت فلانـًا إذا كنت تروم خدعه وعلى هذا يُوجَّه قوله تعالى : " يخادعون الله وهو خادعهم معناه أنهم يُقدِّرون في أنفسهم أنهم يخدعون الله ، والله هو المخادع لهم أي المجازي لهم جزاء خداعهم .. وقيل في قوله تعالى : " يخادعون الله " أي يخادعون أولياء الله) لسان العرب ٢ / ١١١٢ .

(٦) البقرة / ٩ .

(٧) أبو السعود ١ / ٤٠ .

واحـــد ؛ لأن في المخادعة مُهلة كما يُقال عالجت المريض لمكان المُهلة ، قـــال ابـــن عطـــية : كأنه يرد فاعَل إلى اثنين ولابد من حيث إن فيه مُهلة ومدافعـــة ومماطلة ، فكأنه يقاومُ في المعنى الذي يجيء فيه فاعَل اهـ ، وهذا يـــرجع إلى جعل صيغة المفاعلة مستعارة لمعنى **المبالغة** بتشبيه الفعل القوي بالفعل الحاصل من فاعِلَـــيْن على وجه التبعية ، ويؤيد هذا التأويل قراءة ابن عامر ومن معه : يخدعون) (١) .

وإيـــثار " يخـــادعون " في النسق القرآني بيان'' لمدى إعمال المنافق وســـائل المكر ، والاحتيال ، والتفنن في التستر ، والمبالغة في هذا إلى أبعد حـــدٍّ يُتصوَّر ، ظانين أنهم تملّكوا أدوات الذكاء والدهاء ، معتقدين بجهلهم ــ أنه يجوز عليه ــ سبحانه ــ ما يجوز على بعض المؤمنين ، وما علموا أن الله ــ سبحانه ــ لا يُخدع ؛ لأن ما تمَّ من تدبير وحيلة ، إنما تمَّ بعلمه وتحت قهره وسلطانه ، ولهذا جاء النظم القرآني المبدع : " وما يخدعون إلا أنفسهم ومـــا يشـــعرون " أي إن مرجع ما يدبرون ، وعاقبة ما يصنعون إنما وباله عليهم ولا يحيق المكر السيء إلا بأهلـــه ، ولكنهم قوم'' لا يفقهون .

ومـــثال " يسارعون " : قوله تعالى : ﴿ أُولئك **يُسَارعون** في الخيراتِ وَهُم لها سَابقون ﴾ (٢)

(وأمـــا المســـارعة فالمسابقة أي : يُسارعون غيرهم ، قال الزجَّاج : يسارعون **أبلغ** من يُسرعون . انتهى . وجهة **المبالغة** أن المفاعلة تكون من اثنين فتقتضي حث النفس ؛ لأن من عارضك في شـــيء تشتهي أن تغلبه فيه) (٣) .

وجاءت الفاصلة : " وهم لها سابقون " لتؤكد معنى التنافس والمُسارعة (فالسبق تمثيل'' للتنافس والتفاوت في الإكثار من الخيرات بحـــال السابق

---

(١) التحرير والتنوير ١ / ٢٧٦ ، وانظر الكشاف ١ / ٣١ ، ٣٢ .

(٢) المؤمنون/ ٦١ .

(٣) البحر المحيط ٦ / ٣٧٩ .

إلى الغاية) [١] فالمسارعة تمنح المتلقي دلالات متعددة تبعث على الاستباق والمبادرة ، وكلها تشي بمساحات واسعة من بذل الأقصى لنيل أعلى الدرجات وبلوغ الصدارة ، والتطلع الذي لا ينقطع عن الكمال ، واحتساب العواقب ، والتحمُّل الواعي للواجبات والتكاليف .

ومثال " يدافع " : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عن الذين آمنوا ﴾ [٢] (قرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع أي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه) [٣] وقال الزمخشري : (من قرأ " يدافع " فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه ؛ لأن فعل المغالب يجيء أقوى وأبلغ) [٤]

لم يشأ الله ــ عز وجل ــ أن يترك المؤمنين أمام قوى الشر والطغيان عزلاً ، فالصراعُ ــ حتمًا ــ مستمر '' بين الحق والباطل ، ومن هنا جاءت البشارة بالنصر لأهل الحق ، فانظر إلى لطف الله ــ سبحانه ــ ورأفته بالمؤمنين في هذا النظم القرآني المبدع في إيثار كلمة " يدافع " على كلمة " يدفع " [٥] .

فالأولى تمنح المتلقي دلالات الطمأنينة إلى النصر والثقة في الغلبة أكثر مما تمنحه الثانية ، وأنه منصور في كل الأحوال كيف لا ؟ ! والله ــ عز وجل ــ هو الذي يدفع عنه ؛ بل يدافع عنه قِوَى الزيغ والبهتان .

ب- زيادة الكاف : نحو " كمثله " :

في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾ [٦]

(تقول العرب : مثلك لا يفعل كذا يريدون به المخاطب ، كأنهم إذا نفوا الوصف عن مثل الشخص كان منفيًا عن الشخص ، وهو من باب

---

(١) التحرير والتنوير مجلد ٩ ١٨ / ٧٨ .

(٢) الحج/ ٣٨ .

(٣) البيضاوي ٢ / ٩٠ .

(٤) الكشاف ٣ / ٣٤ .

(٥) قرأ بها من القراء السبعة : ابن كثير وأبو عمرو . انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ــ تحقيق د . شوقي ضيف ــ دار المعارف ط الثالثة ١٩٨٨م / ٤٣٧ .

(٦) الشورى/١١ .

المبالغة فجرت الآية في ذلك على نهج كلام العرب من إطلاق المثل على نفس الشيء ويحتمل أن يراد بالمثل الصفة وذلك سائغ ، فيكون المعنى : ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره ، وهذا محمل سهل) (١) .

جـ- زيادة الهاء : نحو : بصيرة ـ سيَّارة ـ غائبة ـ هُمَزة لمُزَة ـ قارعة ـ كاشفة .

مثال الأولى : قوله تعالى : ﴿ بل الإنسانُ على نَفْسِه بَصِيرةٌ ﴾ (٢)

قال الصاوي على الجلالين : (" بل الإنسان على نفسه بصيرة " شاهدة تنطق جوارحه بعمله والهاء **للمبالغة**) (٣) .

بصيرة بنية للمبالغة كراوية وهذا يعني أن الإنسان شاهد'' على نفسه بصير'' بنقصه وعيبه وقد بلغ في ذلك قدرًا عظيمًا ، بحيث لا يحتاج ـ من شدة بَصَرِه بنفسه ـ إلى شاهد آخر غيره كقوله تعالى : ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا ﴾ (٤) .

الثانية : سيَّارة : نحو قوله تعالى : " يلتقطه بعض **السيارة** " (٥) .

السيَّارة : جمع سيَّار ، وهو الكثير السير في الأرض الذي يقطع الأرض للتجارة وغيرها (٦) .

---

(١) دراسات لأسلوب القرآن / ٣٢٧ .

(٢) القيامة / ١٤ ، قال ابن منظور : (البصيرة : عقيدة القلب .. والبصيرة : العِبْرة .. والبصيرة : الثبات في الدين .. والبصيرة : الشاهد .. وقوله تعالى : " بل الإنسان على نفسه بصيرة " قال ابن سيده : له معنيان : إن شئت كان الإنسان هو البصيرة على نفسه أي الشاهد ، وإن شئت جعلت البصيرة هنا غيره فعنَّيت به يديه ورجليه ولسانه ؛ لأن كل ذلك شاهد عليه يوم القيامة ، وقال الأخفش : " بل الإنسان على نفسه بصيرة " جعله هو البصيرة كما تقول للرجل : أنت حُجَّة على نفسك ، وقال ابن عرفة : على نفسه بصيرة أي عليها شاهد بعملها .. قال الأزهري : يقول بل الإنسانُ يوم القيامة على نفسه جوارحُهُ بصيرة'' بما جنى عليها وهو قوله : " يوم تشهد عليهم ألسنتهم ") لسان العرب ١ / ٢٩١ ، ٢٩٣ .

(٣) الصاوي على الجلالين ٤ / ٢٢٨ ، وانظر البحر المحيط ٨ / ٣٧٧ .

(٤) الإسراء / ١٤ .

(٥) يوسف /١٠ .

(٦) انظر البحر المحيط ٥ / ٢٨٥ ، والتسهيل ٢ / ١١٥ .

ونكتة المبالغة ــ هنا ــ في أداء الصيغة في التقاطهم يوسف حيث سيذهبون به ــ قطعًا ــ إلى بلاد بعيدة ، لأنهم قد تعودوا الترحال ، وألفوا قطع الفيافي والمفاوز ، ومن هنا يرتاحون منه في ذهابه إلى بلادٍ بعيدة من جهة ، ومن جهة أخرى لا يرتاب أبوهم في شأنهم عند تأخرهم في تنفيذ أي مهام في الإبعاد (١) .

الثالثة : غائبة :

نحو قوله تعالى : ﴿وَما من غَائبةٍ في السَّماءِ والأرضِ إلا في كتابٍ مُبينٍ﴾ (٢) .

قال ابن جُزَيّ : (" غائبة " الهاء فيه **للمبالغة** : أي ما من شيء في غاية الخفاء إلا وهو من عند الله في كتاب) (٣) .

واللفظة تشي بمدى إحاطة علم الله ــ عز وجل ــ بجميع الأشياء مهما لطفت ودقّت وخفيت .

الرابعة والخامسة : هُمَزة لُمَزة :

نحو قوله تعالى : ﴿ويلٌ لِكل هُمَزةٍ لُمَزةٍ﴾ (٤) .

قال ابن منظور : (" ويلٌ لكل هُمَزة لُمَزة " وكذلك امرأة هُمَزة لُمَزة لم تلحق الهاء لتأنيث الموصوف بما فيه ، وإنما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد **بلغ الغاية والنهاية** ، فجعل تأنيث الصفة أمارة لما أريد من تأنيث **الغاية والمبالغة**) (٥) .

ودلالة " الهاء " في اللفظين ــ على الرغم من كونهما صيغتي مبالغة ــ هو تكثيف الدلالة وإعطاء نطاق المعنى دائرة أوسع في ذم المتصف بهما

---

(١) انظر القرطبي ٤ / ٣٤٥٤ .

(٢) النمل/ ٧٥ .

(٣) التسهيل ٣ / ١٠٠ .

(٤) الهمزة / ١ .

(٥) لسان العرب مادة (هـ . م . ز) . وانظر الصاوي على الجلالين ٤ / ٢٩٩ .

من جهة [١] والتحذير من الاعتياد على الاتصاف بهما من جهةٍ أخرى .

السادسة : قارعة :

نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾ [٢] .

المعنى : لا يزال كفار مكة تتنزل عليهم بسبب أعمالهم وكفرهم شتى صنوف المصائب والبلايا التي تفزعهم وتقلق بالهم وتقرع أسماعهم واحتمل أن تكون (الهاء في " قارعة " **للمبالغة**) [٣] .

السابعة : كاشفة :

نحو قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ **كَاشِفَةٌ** ﴾ [٤] . (أي نفس كاشفة تكشف وقتها وتعلمه قاله الطبري والزجاج .... ويجوز أن تكون الهاء في كاشفة **للمبالغة**) [٥] .

وإذا رجعنا إلى السياق القرآني ، وربطنا الآية بسابقتها : " أزفت الآزفة . ليس لها من دون الله كاشفة " تبيَّن لنا المعنى في جلاء فقد جاء النظم القرآني مُعبِّرًا عن الساعة بالزمن الماضي " أزفت " لتحقق الوقوع وتوكيده ، كذلك تعطي دلالة " أزفت " معنى القرب والدنو ، وقد عُبِّر عن هذا المعنى في التنزيل في مواضع عدة منها تسمية اليوم بالغد في قوله : ﴿ ولتنظر نفس ما قدمت **لغد** ﴾ [٦] .

---

(١) قيل نزلت في الأخنس بن شريق وقيل في غيره .

(٢) الرعد / ٣١ .

(٣) البحر المحيط ٥ / ٣٨٤ .

(٤) النجم / ٥٨ .

(٥) البحر المحيط ٨ / ١٦٧ ، وقال ابن جُزَيّ : (" كاشفة " يحتمل لفظه ثلاثة أوجه : أن يكون مصدرًا كالعافية أي ليس لها كشف وأن يكون بمعنى كاشف والتاء للمبالغة كعلامة وأن يكون صفة لمحذوف تقديره نفس كاشفة أو جماعة كاشفة ويحتمل معناه وجهين : أحدهما أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة أي ليس لها من يزيلها إذا وقعت والآخر أن يكون بمعنى الاطلاع أي ليس لها من يعلم وقتها إلا الله) التسهيل ٤ / ٧٩ .

(٦) الحشر / ١٨

ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّهم يَرَوْنه بعيدًا * وَنَرَاه قَرِيبًا ﴾ (١) ساعتها لا يقدر أحد'' على كشفها ، ولا رَدِّها إذا غشيت الخلق بأهوالها وشدائدها إلا الله عز وجل ، وفي بنية " كاشفة " بيانٌ'' لشدتها وعجز الخلق عن إدراك حقيقتـــها ﴿ وقال الإنسانُ مالها * يَوْمئذٍ تُحدِّث أخبارَها * بأن رَبَّك أوحى لها ﴾ (٢) .

د – زيادة الهمزة والسين والتاء نحو : " يَسْتَسْخِرون " (٣) .

كما في قوله تعالى : ﴿ وإِذَا رَأَوْا آيةً يَسْتَسْخرون ﴾ (٤)

قـــال الزمخشري : (" يستسخرون يـــبالغون في السخرية أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها) (٥) .

اللافـــت أن الصيغة " يستسخرون " وردت في نظم قرآني ، عُطفت فيه هذه الآية على آية سابقة وردت فيها كلمة " يسخرون " (٦) .

الكلمـــتان من مادةٍ واحدةٍ فما دلالة الثانية وزيادتها على الأولى ؟ ! إنها دلالة المبالغة في السخرية والإنكار ، والاستهزاء بالآيات والمعجـــزات

---

(١) المعارج/ ٦ ، ٧ .

(٢) الزلزلة /٣ ، ٤ ، ٥ .

(٣) فـــي اللســـان : (قوله تعالى : " يستسخرون " أي يسخرون ويستهزئون ، كما تقول : عجب وتعجَّب واستعجب بمعنىً واحدٍ) لسان العرب مادة (س . خ . ر) .

(٤) الصافات/ ١٤ .

(٥) الكشاف ٣ / ٢٩٨ .

(٦) تمـــام الآيات : " بل عجبت ويسخرون * وإذا ذكـــروا لا يذكـــرون * وإذا رأوا آية يستسخـــرون " الصافات/ ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

التـــي أُويد بها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وإذا كانت الصيغة تعني عند النحاة ــ أول ما تعني ــ " الطلب " فهو ــ هنا ــ فـــرع من معنـــى " المـــبالغة " التـــي تملكـــت هؤلاء القوم حتى بلغ من فرط غلوهم ، ومدى استقصـــائهم للهُزء أن طلبوا من غيرهم مشاركتهم في هذا إمعانًا في الإنكار واستجماعًا للصدِّ والإعراض .

ونحو " يستحسرون "

كمـــا فـــي قولـــه تعالى : ﴿ وَمَنْ عنده لاَ يَسْتَكْبِرون عَنْ عِبَادَتِهِ **ولا يَسْتَحْسِـــرون** ﴾ [١] (" ومـــن عنده " هم الملائكة والمراد أنهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه (فإن قلت) الاستحسار **مبالغة** في الحسور فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور (قلت) في الاستحسار بـــيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه وأنهم أحِقَّاء لتلك العبادات الـــباهظة بـــأن يستحســـروا فيما يفعلون) [٢] وقال في المفردات : (" لا يَسْـــتَكْبِرون " عـــن عـــبادته ولا يستحســـرون " وذلك أبلغ من قولك : " لا يَحْسَـــرون " [٣] فهـــم لا يتعـــبون تعبـــًا شديدًا وكما تعودنا في نفي صيغة المـــبالغة كما في قوله تعالى : ﴿ وما ربك بظلام للعبيد﴾ [٤] هو نفي لأصل الظلم والزيادة معًا ، واللافت في النظـــم العدول عـــن " يحسرون " إلـــى " يستحسرون " وذلك بيان لأحقيتهم أن يقوموا بالعبادات الشديدة بَيْدَ أن الله ــ سبحانه ــ امتن عليهم فهم لا يَجْهدون في عبادتهم له تعالى .

ونحو " استعصم "

كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ **فَاسْتَعْصَمَ** ﴾ [٥]

---

(١) الأنبيـــاء/ ١٩ .

(٢) الكشاف ٣ / ٦ .

(٣) المفـــردات / ٢٣٥ ، وقـــال في اللسان (حَسِرت الدابة حَسَرًا إذا تعبت حتى تُنقى واستحسرت إذا أعيـــت قال الله تعالى : " ولا يستحسرون " . وفي الحديث : ادعوا الله عز وجل ولا تستحسروا ، أي لا تَمَلُّوا ، قال : وهو استفعال من حَسِر إذا أعيا وتعب) لسان العرب مادة (ح . س . ر) .

(٤) انظر صيغة فَعَّال في مبحث صيغ المبالغة .

(٥) يوسف/ ٣٢ .

(الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب) [١] وإيثار لفظة الاستعصام الدالة على المبالغة في الامتناع والتناهي في الإباء عن الفاحشة فيه دلالة على براءة يوسف ـ عليه السلام ـ مما توهم البعض في تفسير " الهمّ " في قوله تعالى : ﴿ ولقد همَّت به وهَمَّ بها ﴾ [٢] أنه شروع في المعصية ـ حاشا ـ وإنما همَّ بدفعها [٣] .

هـ- زيادة ياء النسب : نحو : " سِخْرِيًّا " .

كما في قوله تعالى : ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهم سِخْرِيًّا حتى أَنسَوْكم ذكري وَكُنتم مِّنْهم تَضْحَكون ﴾ [٤]

(السخري { بالضم والكسر } مصدر سخر كالسخر إلا أن ياء النسب **زيادة قوة في الفعل** كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء أن المكسور من الهُزْء والمضموم من السُّخرة والعبودية أي تسخَّروهم واستعبدوهم والأول مذهب الخليل وسيبويه) [٥] .

والملحظ الجمالي في الصيغة أنها بالضم تعني التسخير والتخديم ، وبالكسر تعني الاستهزاء وقد قرئ بالوجهين وذلك لاحتمال المعنيين وفقًا لقاعدة " القرآن حمَّال أوجه " بَيْدَ أن الألصق بالدلالة قراءة الكسر وهي قراءة "حفص" والدليل على ذلك قوله بعدُ ﴿ وكنتم منهم تَضْحَكون ﴾ [٦] .

---

(١) الكشاف ٢ / ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٢) يوسف /٢٤ .

(٣) ودلالة ذلك بالإضافة إلى الصيغة " فاستعصم " قطع ثوبه من الدبر والأهم ما وصفه الله به في تزييل الآية نفسها " أنه من عبادنا المُخلصين " يوسف/ ٢٤ .

(٤) المؤمنون / ١١٠ .

(٥) الكشاف ٣ / ٥٧ ، وفي المفردات " في الهامش " (قرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف بضم السين ، والباقون بكسرها) المفردات / ٤٠٢ . وانظر السبعة في القراءات / ٤٤٨ .

(٦) انظر التسهيل ٣ / ٥٧ .

و- زيادة التضعيف (١).

كقولـه تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ **فَعُمِّيَتْ** عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ (٢)

(عمـي علـيه الأمر : التبس .. والتعمية : أن تُعَمِّي على الإنسان شيئـًا فتُلَبِّسه عليه تَلـبُّسًا) (٣).

فمعـنى عُمِّيـت : أخفيت وقرئ عَمِيَتْ (٤) ومعناه خفيت وحقيقته أن الحجة كما تُجْعَل " مبصرة " تُجعل " عمياء " ؛ لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غَيْره (٥).

ولا ريـب أن في زيادة المبني زيادةً للمعنى ، فاللفظ بالتضعيف هو المقـابل الملائـم لقوله تعالى ــ واصفـًا منهج الرسل : ﴿ إن كنت علـى بيِّنة ﴾ ففي الوقت الذي يدعو فيه الرسل إلى ربهم على بصيرةٍ وفي نور تام ، في الوقت الذي تعمى فيه بصائر هؤلاء المعاندين عن الهدى بمراحل كثيرة ليعطـي السياق مفارقة قاطعة بين النور المبين للرسل والظلم الدامس لهؤلاء بعدم الاهتداء إلى الحق . وأشار الألوسي إلى الجمال في " عميت " فقـال : (والمـراد بـه ــ هنا ــ الخفاء **مجازًا** يقال : حجة" عمياء كما يُقـال : مبصـرة للواضحة وفي الكلام **استعارة تبعية** من حيث إنه شبه خفاء الدليل بـالعمى في أن كلاً منهما يمنع الوصول إلى المقاصد ، ثم فعل ما لا يخفى عليك ، وجـوز أن يكون هناك **استعـارة تمثيليـة** بأن شبـه الـذي

---

(١) قـال السـيوطي : (وفَعَّـل) وهـو " للتعدية " نحو : أنَّبتُ الصبي (والتكثير) كفتَّحتُ الأبواب ، وذبَّحـتُ الغنم (والسلب) : كقرَّرتُ البعير ، وحلَّمته أي أزلت قـُراده وحلـَمه (والتوجّه) كشرَّق ، وغـرَّب وغوَّر ، وكوَّف ، وبصَّر أي توجَّه نحو الشرق ، والغرب ، والغَوْر ، والكوفه ، والبصرة (واختصـار الحكايـة) كأمَّن ، وهلـَّل ، وأيَّه ، وسبَّح ، وسوَّف إذا قال : آمين ، ولا إله إلا الله ، وإيَّاهـا ، وسبحان الله ــ وسوف (وبمعنى فَعَـل) مُخفَّف العين كقدَّر بمعنى قدر ، وبشَّر ، وميَّز بمعنى : بَشَر ومَازَ) همع الهوامع ٣ / ٢٦٦ .

(٢) هود/ ٢٨ .

(٣) لسان العرب مادة (ع . م . ي) .

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر "فَعَمِيَتْ وقرأ حمزة والكسائي وكذلك حفص عن عاصم " فَعُمِّيَت " انظر كتاب السبعة في القراءات /٣٣٢ وقرأ أُبَيّ : " فعمَّاها " انظر أبا السعود ٤ / ٢٠١ .

(٥) انظر أبا السعود ٤ / ٢٠١ .

لا يهتدي بالحجة لخفائها عليه بمن سلك مفازةً لا يعرف طرقها واتبع دليلاً أعمى فيها) (١) .

كذلك قوله تعالى : ﴿ وَغَلَّقت الأبواب ﴾ (٢)

قيل كانت الأبواب سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الإفعال وقيل للمبالغة في الإيثاق والإحكام (٣) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنا عليهم بَابًا من السَّماء فَظَلُّوا فيه يَعْرُجون * لقالوا إنما سُكِّرت أَبْصَارُنا بل نحنُ قوم مَسْحُورون ﴾ (٤)

قرئ " سُكِّرت " بالتشديد وقرئ أيضًا بالتخفيف ، ويُحتمل أن يكون مشتقًا من السُّكْر ، فيكون معناه أجبرت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته أو من السَّكْر وهو السد فيكون معناه منعت أبصارنا من النظر (٥)

واللافت أن إدراك دلالة السياق القرآني في رحاب جماليات التلقي قد انبنى على المفارقة البديعة بين " فتحنا " و " سُكِّرت " أضف إلى هذا دلالات الجرس الصوتي لكلمة " سُكِّرت " ومعانيها المتعددة التي تدور حول الصرف والسد والحيرة وهي كلها تعكس مدى اللَّجاجة والانتكاس الذي وصل إليه القوم حيث أنكروا مالا يصح إنكاره ، فجحدوا الدلائل الكونية والشواهد العلوية فانغلقت عليهم كل السبل وُسدَّت أمامهم كل الطرق فأنى يُصرفون ؟! .

---

(١) روح المعاني ١٢/ ٣٩ .

(٢) يوسف ٢٣ ، قال ابن منظور : (غَلق الباب وأغلقه وَغَلَّقه .... فهو مُغْلَق ، وفي التنزيل : " وغَلَّقت الأبواب " قال سيبويه : غلقت الأبواب للتكثير ، وقد يُقال أغلقت يراد بها التكثير ، قال : وهو عربيّ جيِّد) لسان العرب مادة (غ . ل . ق) . وقال الراغب الأصفهاني : (أغلقت الباب وغلَّقته على التكثير وذلك إذا أغلقت أبوابًا كثيرة ، أو أغلقت بابًا واحدًا مرارًا ، أو أحكمت إغلاق باب وعلى هذا " وغلقت الأبواب ") المفردات / ٦١٢ .

(٣) انظر أبا السعود ٤ / ٢٦٥ ، وانظر البحر المحيط ٥ / ٢٩٤ ، والقرطبي ٤ / ٣٤٨٥ والتحرير والتنوير مجلد ٦ ١٢ / ٢٥٠ .

(٤) الحجر/ ١٤ ، ١٥ ، قال في اللسان : (سكر بصره : غشي عليه . وفي التنزيل العزيز : " لقالوا إنما سُكِّرت أبصارنا " أي حُبست عن النظر وحُيِّرت وقال أبو عمرو بن العلاء : معناها غُطِّيت وغُشِّيت ؛ وقرأها الحَسَن مخففة وفسَّرها سُحِرت) لسان العرب ٣ / ٢٠٤٨ .

(٥) انظر التسهيل ٢ / ١٤٤ ، ١٤٥ .

كذلك قوله تعالى : ﴿ قَالوا إنَّما أَنْتَ من المُسحَّرين ﴾ (١)

المُسحَّر : الذي سُحِر كثيرًا حتى غلب على عقله ، وهو **مبالغة** في المسحورين فهو على هذا من السِّحر بكسر السين ويحتمل أن يكون من السَّحر بفتح السين وهي الرئة ، والمعنى على هذا إنما أنت بشر (٢) .

ومن هنا فالوصف إما قائم'' على المبالغة في سحره حيث تمكَّن منه السحر تمكُّنًا شديدًا ، فأضحى يقول مالا يعقل ، ويهرف بما لا يعرف ، ومن ثم تسقط ــ في نظرهم ــ أحقيته في الدعوة وتبليغ الرسالة ، وإما اللفظ مأخوذ من الرؤية والظهور فهو ليس من أهل الخفاء كالجن والملائكة ، وإنما هو بشر'' يعتريه ما يعتري الناس من صفات وهنا ــ أيضًا ــ تسقط ــ في نظرهم ــ أحقيته في الدعوة وتبليغ الرسالة ، وهذا من إعجاز القرآن ، والنكتة أن اللفظ بشتَّى دلالاته يؤدي إلى الغرض ذاته المساق إليه ولن تجد في غير القرآن مثل هذا الإعجاز .

ومثل قوله تعالى : ﴿ ولا تُصعِّر خَدَّك للناس﴾ (٣)

قرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وابن محيصن " تُصَاعِر " (بالألف بعد الصاد) وقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر والحسن ومجاهد " تُصعِّر " وقرأ الجحدي " تُصْعِر " (بسكون الصاد) مضارع أصعر ، واللفظ بهذا يكون قد قرئ بأدوات التعدية الثلاثة : الهمزة وألف المطاوعة والتضعيف والمعنى : لا تَمِلْ خدك للناس كبرًا عليهم وإعجابًا ، واحتقارًا لهم ، وهذا تأويل ابن عبَّاس وجماعة . وقيل : هو أن تلوي شدقك إذا ذكر الرجل عندك كأنك تحتقره ، فالمعنى : أقبل عليهم متواضعًا مؤنسًا مستأنسًا ، وإذا حدثك أصغرهم فاصغ إليه حتى يكمل حديثه وكذلك كان

---

(١) الشعراء/ ١٥٣ ، ١٨٥ .

(٢) انظر الكشاف ٣ / ١٢٣ ، والتسهيل ٣ / ٨٩ .

(٣) لقمان/ ١٨ ، في اللسان (الصَّعَر : مَيل'' في الوجه ، وقيل : الصَّعَر المَيَل في الخدّ خاصة .. وقيل هو ميل'' في العنق ، وانقلاب في الوجه إلى أحد الشِّقَّين . وقد صعَّر خدَّه وصاعره : أماله من الكبر .. وفي التنزيل : " ولا تُصعِّر خدَّك للناس " وقرئ ولا تصاعر ؛ قال الفرَّاء : معناهما : الإعراض من الكِبْر ؛ وقال أبو اسحق : معناه لا تُعرض عن الناس تكبُّرًا ، ومَجَازُهُ لا تُلزم خدَّك الصَّعَر وأصعره : كصعَّره . والتصعير : إمالة الخدّ عن النظر إلى الناس تهاونًا من كِبْر كأنه مُعرِض) لسان العرب مادة (ص . ع . ر) .

النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يفعل [1].

ومــن بديع السياق القرآني هذا الأسلوب الكنائي الرفيع ، إضافة إلى الصيغة وما تحويه من تكثيف الدلالة حول ذم الكبر والترفع على الناس يأتي مستوى آخـر ومعنى ثان هو الشق البياني التصويري ، وما يعتوره من ازدواجـية في التعبير بين المعنى الظاهري السطحي غير المقصود والمعنى العمـيق الخفي وهو المقصود الذي أشير إليه بخفاء عن طريق الكناية ، ولا يخفـى مـا تضفيه الكناية من قيمة بيانية على المعنى من خلال سَوْق الدليل علـيه من جهة ومن جهة أخرى إحداث هذا التفاعل الخصيب والمستمر بين الخفاء والظهور .

ز – زيادة حرف الباء

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤمِنٍ لنا وَلَوْ كُنَّا صَادقين ﴾ [2]

هذا كلام أخوة يوسف لأبيهم بعد التخلص من يوسف برميه في قاع البئر أي لست بمصـدق لـنا مـا قلناه { أكله الذئب } ولو كنا في الواقع صادقين ، ومجـيء حـرف الجـر الـزائد في " بمؤمن " يمنح السياق الدلالـة على الارتـباب وعدم الاستيثاق مما قالوه ، إذ ينفي " الحرف " أدنى إيمان بصحة ما قالوه ، **فالمبالغة** هنا في نفي أدنى درجات الإيمان عن تصديق قولهم .

---

(١) انظر القرطبي ٧ /٥٣٢٦ ، ٥٣٢٧ ، والبحر المحيط ٧ / ١٨٣ .

(٢) يوسف / ١٧ .

٣ــ التعبير عن المستقبل بصيغة الماضى

قــد يوضع الفعل الماضي موضع المضارع وذلك لتحقق الأمر ولقربه كمــا في قوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ فلا تَسْتَعْجِلوه ﴾ (١) كما يوضع أحيانًا ليفــيد المــبالغة كما في قوله تعالى : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَه يَوْم القيامة فَأوردهم النارَ وَبِئسَ الوِردُ المَوْرودُ ﴾ (٢)

فإن فرعون يتقدم قومه يوم القيامة إلى النار كما كان يتقدمهم في الدنيا إلى الضلال (" فأوردهم النار " ذكره بلفظ الماضي **مبالغة** في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى إتيانها موردًا) (٣).

وإذا تبينت إيثار صيغة الماضي ــ هنا ــ للتحقق الذي لا محالة فيه ، فإنه قد بقيت نكتة'' لطيفة'' في معنى الصيغة ــ لا مبناها ــ ذلك أن الأصل فــي الورود هو المرور على الماء قصدًا للاستسقاء منه وإذهابًا للظمأ ، أما هنا فهو ورود'' على النار ــ عياذًا بالله ــ حيث (شُبِّه فرعون بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء ، وأتباعه بالواردة ، والنار بالماء الذي يردونه ثم قيل (وبئس الورد المورود) أي بئس الذي يردونه النار ؛ لأن الورد إنما يُراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار على ضِدِّ ذلك) (٤).

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَنادى أصحابُ الأعراف رِجالاً ﴾ (٥)

قال الزركشي : " يُجعل المتوقع فيه كالواقع ، فيؤتى بصيغة الماضي

---

(١) النحل / ١ .

(٢) هود/ ٩٨ .

(٣) البيضاوي ١ / ٤٦٩ .

(٤) أبو السعود ٤ / ٢٣٩ .

(٥) الأعراف/ ٤٨ .

مـراراً به المُضي ، تنزيلاً منزلة ما وقع ، فلا يكون تعبيرًا عن المستقبل بلفظ الماضي بل جُعِل المسقبل ماضيًا **مبالغة** "[١] .

ومـنه قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمواتِ وَمَن في الأرضِ إلا مَنْ شاء الله ﴾[٢] .

فإنه لا يمكن أن يراد به المُضي ، لمنافاة " ينفخ " الذي هو مستقبل في الواقع ، وفائدة التعبير عنه بالماضي الإشارة إلى استحضار التحقق وإنه من شأنه لتحققه أن يُعبّر عنه بالماضي[٣] .

٤ ـ إيثار صيغة المضارع

كما في قوله تعالى : ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبتم وَفَرِيقًا **تَقْتُلُون** ﴾[٤] .

قـال ابـن جُـزيّ : " { تقـتلون } جـاء مضارعًا **مبالغة** ، لأنه أيّد استحضاره في النفوس ، أو لأنهم حاولوا قتل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لـولا أن الله عصـمه "[٥] والالـتفات من صيغة الماضي إلى صيغة المضارع يعطي إيحاءً لتجدد حدث القتل من قِبَل اليهود .

كذلـك قولـه تعـالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أنزلَ من السَّماء ماءً **فَتُصْبِحُ** الأرضُ مخضرةً ﴾[٦] .

حيـث جاء الفعل " تصبح " مضارعًا للقطع بحدوثه ولتجدده قال ابن جُزيّ : { تصبح ـ هنا ـ بمعنى تصير ، وفهم بعضهم أنه أراد صبيحة ليلة المطر فقال لا تصبح الأرض مخضرة إلا بمكة ، والبلاد الحارة ، وأما على معنى تصير فذلك عام في كُلِّ بلد .. وإنما قـال تصبـح بلفظ المضارعـة

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣ / ٣٧٢ .

(٢) النمل/ ٨٧ .

(٣) انظر البرهان ٣ / ٣٧٣ .

(٤) البقرة/ ٨٧ .

(٥) التسـهيل ١ / ٥٣ ، ومـازال عطـاء هـذا الفعل المتجدد من قِبل اليهود يتكرر حدوثه مع الشعب الفلسطيني المكـافح فـي صـبرا وشـاتيلا ومذبحة الحرم الإبراهيمي واغتيال الشيخ أحمد ياسين والرنتيسي .. الخ .

(٦) الحج/ ٦٣ .

ليفيد بقاءها كذلك مدة } [1].

٥ ـ وضع المصدر موضع الصفة

من مواقع المبالغة أن يقع المصدر موضع اسم الفاعل كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ جعلنا البيتَ مَثابة للنّاس **وأمنًا** ﴾ [2] .

فوقع المصدر " أمنًا " موضع اسم الفاعل " آمنًا " كما في قوله تعالى : ﴿ حَرَمًا آمنًا ﴾ [3] . (على إيقاع المصدر موضع اسم الفاعل **للمبالغة**) [4].

وقال ابن عاشور : (الأمن مصدر أخبر به عن البيت باعتبار أنه سببُ أمن فجعل كأنه نفس الأمن **مبالغةً**) [5] ولا يخفى ما في النظم من جمال في الإسناد المجازي لكلمة " أمنًا " حيث أُسند الأمن للبيت وحقه أن يُسند إلى الناس كما قال تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ [6] .

كذلك قوله تعالى : ﴿ نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم **نجوى** ﴾ [7] .

(النجوى : مصدر كالتقوى وإنما وصفوا بالمصدر لما في هذه الصفة من **المبالغة** في ذكر ما هم عليه من كثرة تناجيهم وإسرار المكايد بينهم والصفة بالمصدر تدل على قوة الشيء الموصوف بذلك مثل قولهم : رجل'' رضا وقوم'' عَدْل'' وما يجري هذا المجرى) [8] وقال ابن عاشور : (النجوى : اسم مصدر المناجاة ، وهي المحادثة سرًا .. وأخبر

---

(١) التسهيل ٣ / ٤٦ .

(٢) البقرة/ ١٢٥ .

(٣) العنكبوت/ ٦٧ .

(٤) أبو السعود ١ / ١٥٧ .

(٥) التحرير والتنوير ١ / ٧٠٦ .

(٦) آل عمران/ ٩٧ .

(٧) الإسراء/ ٤٧ .

(٨) تلخيص البيان في مجازات القرآن ــ للشريف الرضي ــ تحقيق د . على محمود مقلد ــ دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ١٩٨٦م / ١٥١ .

عنهم بالمصدر **للمبالغة** في كثرة تناجيهم عند استماع القرآن تشاغلاً عنه) [١] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْنا يا نارُ كوني بَرْدًا **وسلامًا** على إبراهيمَ ﴾ [٢]

فإيثار لفظة " بردًا " على (ذات بَرْد) أفاد المبالغة كما أشار إلى ذلك ابن جُزيّ بقوله : (أي ذات برد وسلام ، وجاءت العبارة هكذا **للمبالغة**)[٣] .

وفي السياق لفتات'' جمالية ذكرها المفسرون (وفيه مبالغات جعل النار المُسخَّرة لقدرته تعالى مأمورة مطاوعة وإقامة كوني ذات بَرْدٍ مقام ابردي ثم حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه) [٤] .

ومما وضع فيه المصدر موضع الصفة قوله تعالى :

﴿ وَعِبَادُ الرَّحمنِ الَّذين يَمْشُون على الأرضِ **هَوْنًا** ﴾ [٥] .

حيث وضع المصدر " هونًا " موضع الوصف " هينين أو مشيًا هينًا " (إلا أن موضع المصدر موضع الصفة **مبالغة**) [٦] .

وإيثار المصدر في السياق فيه قوة في الفعل ، فعباد الرحمن بأخذهم هذا اللقب الرفيع ينمازون عن سائر الناس في خصالهم وأفعالهم ، فهم يمشون مُتَسَربلين بكساء السكينة والوقار ، مُتَّشحين بوشاح التواضع والانقياد قد راموا الغاية في الرقة واللطف واللين .

ومما وُضع فيه المصدر موضع اسم الفاعل قوله تعالى :

﴿ أو يُصبحَ ماؤها غَوْرًا فلن تَسْتَطِيع لَهُ طَلَبًا ﴾ [٧] .

---

(١) التحرير والتنوير مجلد ٧ ١٢٠/١٥ .

(٢) الأنبياء / ٦٩ .

(٣) التسهيل ٣ / ٢٩ .

(٤) أبو السعود ٦ / ٧٦ ، والبيضاوي ٢ / ٧٤ ، وروح المعاني ١٧ / ٦٨ .

(٥) الفرقان/ ٦٣ .

(٦) الكشاف ٣ / ١٠٣ .

(٧) الكهف/ ٤١ .

(" وَغورًا " أي غائرًا ذاهبـًا وهو **مصدر وصف به**) [١] .

أي يغور ماؤها في الأرض فيتلف كل ما في حديقتك من زرع وشجر وحينئذٍ لا تستطيع له طلبـًا وجاء الوصف بالمصدر للدلالة على شدة الغور وعجزه التام عن طلبه والنَيل منه فضلاً عن إعادته وردّه كما كان .

ومنه قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم القتالُ وهو **كره** لكم ﴾ [٢] .

حيث وضع المصدر " كره " موضع اسم المفعول " مكروه " قال ابن جُزيّ : { " كره " مصدر ذكر **للمبالغة** أو اسم مفعول كالخبز بمعنى المخبوز } [٣] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَاءوا عَلَى قَمِيصِهِ بدمٍ **كَذب** ﴾ [٤] .

قال الزمخشري : { " بدمٍ كذبٍ " ذي كذب أو وصف بالمصدر **مبالغة** كأنه نفس الكذب وعينه كما يُقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه } [٥] ويبدو أنهم وضعوا " الدم " على القميص بطريقة عشوائية متعجلة بلا إتقان حتى أنهم " زلّ عنهم أن يمزقوه " [٦] فصار أمرًا مكشوفـًا بالكذب حتى استحال الدم نفسه من المبالغة إلى أن صار هو الكاذب .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَشَرَوْه بثمنٍ بخسٍ ﴾ [٧] .

أي بثمن مبخوس ناقص عن القيمة نقصانـًا ظاهرًا وفيه إشارة للمبالغة في القِلَّة .

---

(١) التسهيل ٢ / ١٨٩ .

(٢) البقرة/ ٢١٦ .

(٣) التسهيل ١ / ٧٨ .

(٤) يوسف/ ١٨ .

(٥) الكشاف ٢ / ٢٤٦ .

(٦) نفسه ٢ / ٢٤٦ .

(٧) يوسف/ ٢٠ .

obeikandl.com

٦ ـ تَوَخِّي اللفظ وفقـًا للمعنى

إذ يأتي اللفظ تابعـًا لقوة المعنى ودلالته على العمق [١] .

كما في قوله تعالى : ﴿تَاللَّهِ تفتأ تَذْكُرُ يُوسفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ﴾ [٢]

حيث جاء السياق بأغرب ألفاظ القسم ، وهي " التاء " ؛ فإنها أقل استعمالاً ، وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو ، وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار وهي " تفتأ " ، فإن " تزال " أقرب إلى الأفهام ، وأكثر استعمالاً ، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحَرَض ، فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاوز كل لفظة بلفظةٍ من جنسها في الغرابة ، توخِّيـًا لحسن الجوار ، ورغبةً في ائتلاف المعاني بالألفاظ ولتتعادل الألفاظ في الوضع وتتناسب في النظم [٣] والسياق مُشعر بالمبالغة المنوطة بهذا التوخِّي الدقيق للألفاظ الكاشفة في جلاء عن مدى غضب أبناء يعقوب وتغيّظهم من أبيهم من جرّاء استمرار الحزن والأسف على يوسف .

ومنه قوله تعالى : ﴿لَها مَا كَسبتْ وعليها ما اكتسبت﴾ [٤] ، جاء السياق بلفظ " الاكتساب " المُشعر بالكلفة والمبالغة في جانب السيئة لثقلها . وكذا قوله " فكبكبوا فيها " [٥] فهو أبلغ من "كبوا " للإشارة إلى أنهم يُكبُّون كبـًا عنيفـًا فظيعـًا .

---

(١) انظر الإتقان ٣ / ٢٦٢ .

(٢) يوسف/ ٨٥ .

(٣) انظر البرهان ٣ / ٢٦٢ .

(٤) البقرة /٢٨٦ .

(٥) الشعراء /٩٤ .

وقولـه : ﴿ وَهُم يَصْطَرِخُون فيها ﴾ [١] فإنه أبلغ من " يصرخون " للإشـارة إلى أنهم يصرخون صراخًا منكرًا خارجًا عن الحد المعتاد ، وكذا قولـه : ﴿ أخـذ عزيز مُقتدر ﴾ [٢] ، فإنه أبلغ من " قادر " ، للإشارة إلى زيادة التمـكن في القـدرة ، وأنه لا راد لـه ولا معقـِّب ومثـل ذلك ﴿ اصطبر ﴾ [٣] فإنه أبلغ من " اصبر " ومنه الفرق بين سقي وأسقى ، فإن " سقي " لما لا كلفة معه في السقيا ، ولهذا أورده تعالى في شراب الجنة فقال : ﴿ وَسَـقَاهُمْ رَبُّهم شرابًا طَهُورًا ﴾ [٤] و" أسقى " لما فيه كلفة ، ولهـذا أورده في شـراب الدنيا ، فقـال : ﴿ وَأَسْقَيْنَاكـم مَاءً فُراتـًا ﴾ [٥] ، ﴿ لَأَسْـقَيْناكم مَـاءً غَـدَقًـا ﴾ [٦] ، لأن السُّـقيا في الدنيا لا تخلو من الكلفـة أبدًا [٧] .

٧ ــ إيثـار الجمع :

يعدل النظم القرآني إلى الجمع ليكشف بدلالته الظاهرة على الكثرة عن قوة الصفة على سبيل المبالغة ، فإذا نظرت إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَيتُ عليك محبةً مني وَلِتُصْنَعَ على عَيْني ﴾ [٨] تجده يطلق العين مفردةً لدلالة الحفظ والـرعاية ثـم تـراه يطلق العين جمعًا ، فيضيف بالجمع دلالة أخرى على المبالغة في الحفظ والرعاية ، زيادة في طمأنة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ والـربط على قلبه وزيادة تكريم وتشريف له في قوله تعالى : ﴿ واصْبِر لِحُكـم رَبِّـك فـإنك بأعينـنـا ﴾ [٩] فيأتـي الجمع دليـلاً على مضاعفة الحفظ والحياطة من الله تعالى لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فـي

---

(١) فاطر/ ٣٧ .
(٢) القمر/ ٤٢ .
(٣) طه/ ١٣٢ .
(٤) الإنسان/ ٢١ .
(٥) المرسلات/ ٢٧ .
(٦) الجن/ ١٦ .
(٧) انظر البرهان ٣ / ٢٦٣ .
(٨) طه/ ٣٩ .
(٩) الطور /٤٨ .

مواجهة حملات المشركين وكيدهم (١) .

ومن المبالغة بالجمع على سبيل التجوز بالكثرة عن الشدة ، قوله تعالى تصويرًا لهول ما يحيط بالكافرين من الشدائد عند الموت ﴿ وَلَو تَرى إذ الظالمونَ في غَمَرات الموتِ والملائكةُ باسطوا أيْدِيهم أخْرِجوا أنفسَكم اليومَ تُجْزَون عذابَ الهُون بما كنتم تَقُولون على الله غير الحقِّ وكنتم عن آياته تَستكبِرون ﴾ (٢)

فكان للجمع " غمرات " أثر بالغ في تصوير ما أحاط بالظالمين من الشدائد وتكاثرها ، **مبالغة** في شدة ما يعانونه من آلام الموت ، ولما يلاقونه من الشدائد المتعددة التي لتعدد أشكالها وأحوالها لا يعبر عنها باسم مفرد (٣) .

٨ ـ مخاطبة المرأة بخطاب الذكور :

من وسائل المبالغة في الخطاب أنه (قد تخاطبُ المرأة بخطاب جمع الذكور ، أو يُكنى عنها بضمير جمع المذكر ، **مبالغة** في سترها) (٤) ومنه قوله تعالى : ﴿ وقال لأهله امكثوا﴾ (٥) وذلك حين رأى موسى نارًا فقال لزوجته أقيمي مكانك فإني أبصرت نارًا (٦) وهذا من جميل الكنايات الدالة على المبالغة في الستر ، ومازال الناس على هذا الهدى حتى الآن فينادي الرجل زوجته أمام الناس باسم ابنه فيقول : يا أحمد يا إبراهيم يا عبد الرحمن وهو يعني زوجته !

---

(١) انظر الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ للدكتور محمد الأمين الخضري ـ مطبعة الحسين الإسلامية ـ ط الأولى ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣م /١٠٧ .

(٢) الأنعام / ٩٣ .

(٣) انظر الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ / ١٠٩ .

(٤) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٨ / ٧٦ .

(٥) ورد هذا السياق القرآني مرتين : الأولى قوله تعالى : " فقال لأهله امكثوا إني آنست نارًا " طه/ ١٠ ، والأخرى : قوله تعالى : " قال لأهله امكثوا إني آنست نارًا لعلي آتيكم منها بخبر" القصص / ٢٩ .

(٦) استأذن موسى شعيبًا عليهما السلام في الخروج إلى أمه وخرج بأهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضلَّ الطريق ، وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك انظر الكشاف ٢ / ٤٢٨ .

ومخاطبة المرأة بخطاب الذكور تعرفه العرب حيث (جاء مثل ذلك في قول جميل :

إني لأحفظ غيبكم ويسرني إذ تذكرين بصالح أن تذكري

ياليتني ألقي المنية بغتةً إن كان يوم لقائكم لم يقدري

أو أستطيع تجلدًا عن ذكركم فيفيق بعض صبابتي وتفكري

وكثر ذلك في شعر جميل ومجنون بني عامر) [١] .

٩ ــ تغاير القراءات :

القراءات القرآنية لها أقسام ــ كما ذكر السيوطي [٢] ــ منها المتواتر [٣] والمشهور [٤] والآحاد [٥] ، والشاذ [٦] والموضوع [٧] وقسم سادس أضافه السيوطي يشبه نوعًا من أنواع الحديث المُدْرج [٨] .

والخلاصة أنه لا خلاف أن كلَّ ما هو من القرآن يجب أن يكون متواترًا

---

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٨ / ٧٦ .

(٢) انظر الإتقان ١ / ٢١٥ .

(٣) هو ما نقله جمع'' لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، عن مثلهم إلى منتهاه ، وغالب القراءات كذلك .

(٤) هو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ، ووافق العربية والرسم ، واشتهر عند القُرَّاء ، فلم يعده من الغلط ولا من الشذوذ ويقرأ على ما ذكر ابن الجزري .

(٥) هو ما صح سنده ، وخالف الرسم أو العربية ، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ولا يقرأ به وقد عقد الترمذي في جامعه ، والحاكم فس مستدركه لذلك بابًا أخرجا فيه شيئًا كثيرًا صحيح الإسناد ، من ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق الجُحدري عن أبي بكرة أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قرأ " متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان " الرحمن ٧٦ وقراءة حفص " رفرف " ، و" عبقري " انظر الإتقان ١ / ٢١٥ .

(٦) هو ما لم يصح سنده ، وفيه كُتب'' مؤلفة'' منها المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني ، وإعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري من ذلك قراءة " ملك يوم الدين " بصيغة الماضي ونصب (يوم) و " اياك يُعبْدُ " ببنائه للمفعول .

(٧) كقراءات الخزاعي ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي ومنها " إنما يخشى الله من عباده العلماء " برفع الله ونصب العلماء ، وقد كتب الدارقطني وجماعة بأن هذا الكتاب موضوع ، لا أصل له .

(٨) هو مازيد في القراءات على وجه التفسير ، كقراءة سعد بن أبي وقاص " وله أخ أو أخت من أم " أخرجها سعيد بن منصور وقراءة ابن عباس " ليس عليكم جُناح'' أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج " أخرجها البخاري . انظر الإتقان ١ / ٢١٥ ، ٢١٦ .

في أصله وأجزائه وفي محله ووضعه وترتيبه ؛ لأن هذا المعجز العظيم هو أصل الدين القويم والصراط المستقيم ، مما ينبغي أن تتوفَّر الدواعي على نقل جُملِهِ وتفاصيله ولأنه لو لم يُشترَط التواتر لجاز سقوط كثير من القرآن المُكرَّر وثبوت كثير مما ليس بقرآن (١) .

(والقرآن والقراءات حقيقتان مُتغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المُنَزَّل على محمدٍ ــ صلى الله عليه وسلم ــ للبيان والإعجاز ، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيتها من تخفيفٍ وتشديدٍ وغيرهما) (٢) .

وقد عرَّف " ابن الجزري " القراءة الصحيحة بقوله : (كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصحَّ سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز رَدُّها ، ولا يحلُّ إنكارها ؛ بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها ، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة ام عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختلَّ ركن'' من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة ، أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمَّن هو أكبر منهم ؛ هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف) (٣) .

وليس معنى ذلك أن أئمة القراءة تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية ؛ بل تعمل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل ، وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة ؛ لأن القراءة سُنَّة مُتَّبعة ، يلزم قبولها والصير إليها (٤) .

ويبدو أن مُنظِّري البلاغة العربية لم يعطوا هذا الجانب القرائي حقه كما ينبغي في إدراجه وكثرة الاستشهاد به في الفنون البلاغية المختلفة كما

---

(١) انظر الإتقان ١ / ٢١٧ .

(٢) الإتقان ١ / ٢٢٢ .

(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١ / ٨ .

(٤) انظر الإتقان ١ / ٢١١ .

نـــوَّه إلـــى ذلك بعض المعاصرين : { إن شريحة توجيه القراءات في تراثنا لاتزال ساقطة ً من ُحسبان تاريخنا المعاصر للبلاغة والنقد وكان مرجع ذلك ـــ فـــي نظـــري ـــ يعود إلى قلة اكتراث البلاغيين أنفسهم بتوجيه القراءات والاستشـــهاد بهـــا فـــي بحثهم حتى لا نجد لذلك إلا إشارات عابرة للشريف الرضـــي (ت ٤٠٦) هـ في كتابه " تلخيص البيان في مجازات القرآن ، وشاهدًا واحدًا لعبد القاهر (ت ٤٧١) هـ في كتابه " دلائل الإعجـــــــاز " وشـــواهد عديدة للقزويني (ت ٧٣٩) هـ في كتابه " الإيضاح " لا تعـــدو كونها صـــدى من أصداء توجيـــه القـــراءات في تراث من سبقهم } (١) .

ومـــرد ذلـــك يعود ـــ في نظره ـــ (إلى اهتمامهم بالرواية المتواترة للمصـــحف الإمـــام كما يعود إلى تلك النظرة الجزئية التي وقفت عند حدود الآية أو بعضها عند الاستشهاد على فنون البلاغة والتمثيل لها) (٢) .

ويمكن تقسيم القراءات حيال المبالغة مع قراءة حفص قسمين :

القسم الأول : قراءة نشأت عنها المبالغة ولم تكن في قراءة " حفص ".

القسم الآخر : قراءة تابعت قراءة " حفص " في بنية " المبالغة " :

أولا ً : القســـم الأول : القـــراءة التي نشأت عنها المبالغة : مثل قوله تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ُذكّروا به **فَتَحْنَـــا** عليهم أبواب كلّ شيء ﴾ (٣)

(قـــرأ الجمهـــور " فَتَحْنَـــا " ـــ بتخفيف المثناة الفوقية وقـــرأه ابن عامـــر ، وأبـــو جعفر ورُوَيس عن يعقوب ـــ بتشديدها ـــ **للمبالغة** في الفتح بكثرته كما أفاده قوله : ﴿ أبواب ُكلّ شيء ﴾ (٤)

---

(١) التوجـــيه البلاغـــي للقراءات القرآنية د . أحمد سعد محمد ـــ مكتبة الآداب ط الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م / ٩ .

(٢) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية / ٨٧ .

(٣) الأنعام/ ٤٤ .

(٤) الـــتحرير والتنوير مجلد ٤ جزء ٧ / ٢٣٠ ، وقال الألوسي : " قرأ أبو جعفر وابن عامر " فتّحنا " بالتشديد للتكثير " روح المعاني ٧ / ١٥٢ .

وبإمكانك أن تتلمس جمال النظم القرآني في مفردات ثلاث هي : أبواب ــ فتَّحنا ــ كل ، فالأولى أتت جمعًا للدلالة على الكثرة والوسع والثانية مُشَدَّدة لدلالة القوة في الفعل وأنها قد فتحت على مصارعها وكانت الثالثة لبيان شمول النعم والخيرات وتنوعها من أرزاق وأموال وتجارات ومساكن وسلطان ... الخ ، وهذا كله يمنح المتلقي انطباعًا بَيِّنًا على مدى التدفق الهائل للنعم التي انهمرت عليهم كالسيل بلا حواجز أو عوائق ؛ بل بلا كدٍّ أوعناء .

ومثله قوله تعالى : ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (١)

(قرأ أهل الكوفة إلا عاصمًا " بكل سحَّار " وقرأ سائر الناس " ساحر " وهما متقاربان ، إلا أن فعَّالاً أشد **مبالغة**) (٢).

والسِّرُّ في قراءة ــ سحَّار ــ ببنية المبالغة هو طمأنة فرعون وتهدئته ؛ لأنه جاء بعد قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلأُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) فأرادوا أن يثبتوا له أن ثمة من هو أعلم من موسى وأشد تفوقًا في فن السحر منه (٤) وإذا كان هو " ساحر " فهناك " السحَّار " ، فالزيادة في الصيغة على هذا النحو جعلته يركن إلى المغالبة ويتسرَّب إلى نفسه الاعتقاد بالانتصار على موسى ــ عليه السلام .

كذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ﴾ (٥) (الغيابات:جمع غيابة ، وهي ما غاب عن البصر من شيء ، فيقال : غيابة الجب وغيابة القبر والمراد قعر الجُبّ ، والجب : البئر التي تُحفر ولا تُطوى . وقرأ نافع ، وأبو جعفر " غيابات " بالجمع ومعناه جهات تلك الغيابة ، أو يجعل الجمع **للمبالغة** في ماهية الاسم كقوله تعالى :

---

(١) الأعراف/ ١١٢ .

(٢) القرطبي ٤ / ٢٧٨٧ ، وانظر ابا السعود ٣ / ٢٥٩ ، والبحر المحيط ٤ / ٣٦٠ .

(٣) الأعراف /١٠٩ .

(٤) انظر أبا السعود ٣ / ٢٥٩ ، والبحر المحيط ٤ / ٣٦٠ .

(٥) يوسف/١٥

﴿ أو كظلمــاتٍ فــي بَحْرٍ لُجيّ ﴾ [١] ، وقرأ ابن هرمز (غيَّابات) بالتشــديد والجمــع ، والــذي يظهر أنه سُمّي باسم الفاعل الذي للمبالغة فهو وصف'' في الأصل [٢] .

والنكتة في الجمع هو تهيئة النفس في تلقي جملة الأخطار التي واجهها يوســف ــ عليه السلام ــ في البئر ؛ فهي شديدة الغَوْر ، شديدة الظلمة [٣] شــديدة الوحشة للأمرين السابقين ، أضف إلى ذلك " الوحشة النفسية " فيما صــنعه بــه أخوتــه فقد رُوي أنه لما " أرادوا إلقاءه في الجب تعلَّق بثيابهم فــنزعوها من يديه ، فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا إخوتــاه ردُّوا عليَّ قميصي أتوارى به ، وإنما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبـًا تؤنسك ودلوه فــي البئر فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى إلــى صــخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظنَّ أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فــأرادوا أن يرضــخوه ليقتلوه فمنعهم " يهـــــوذا " وكان " يهوذا " يأتيه بالطعام) [٤] .

ومــثله قوــله تعالى : ﴿ ثم نُكسوا على رءوسهم لقَدْ عَلِمْتَ مَا هؤلاءِ يَـنْطِقون ﴾ [٥] (النَّكس : قلب الشيء على رأسه ، نكسه يَنْكـُسُه نَكسـًا فانــتكس ونكــس رأسه : أماله ، ونكَّسَتُهُ تنكيسـًا وفي التنزيل : ﴿ ناكسو رءوســهم عــند ربهم ﴾ والناكس : المُـطَـأطِيءُ رأسه . ونكس رأسه إذا طأطــأه مــن ذُل .. قــال الفــرّاء في قوله عز وجــل : ﴿ ثم نُكسوا على رءوســهم ﴾ يقول : رجعوا عما عرفوا من الحُـجَّة لإبراهيم ، على نبينا محمد وعليه الصلاة والسلام) [٦] .

---

(١) الــتحرير والتــنوير مجلــد ٦ جزء ١٢/٢٢٤ ، وقال في اللسان (في التنزيل العزيز : " في غيابات الجُـبِّ " . وغــاب الشيء في الشيء غِيابة ً وغُيُوبـًا ، وغِيابـًا ، وغِيابـًا وغَيْبَة ً ، وفي صرف أبيّ ، في غَيْبَة الجُبِّ) لسان العرب ٥ / ٣٣٢٣ .

(٢) انظر البحر المحيط ٥ / ٢٨٥ .

(٣) فسر " الصاوي " الغيابة بالشيء المظلم . انظر الصاوي على الجلالين ٢ / ٢٠٠ .

(٤) الكشاف ٢ / ٢٤٥ .

(٥) الأنبياء/ ٦٥ .

(٦) لسان العرب ٦ / ٤٥٤٠ .

وقــرئ "نُكّســوا" بالتشــديد ، وذلك **لفرط** إطراقهم خجلاً وانكسارًا وانخــزالاً مما بهتهم به إبراهيم عليه السلام فما أحاروا جوابــًا إلا ما هو حجة عليهم (١) .

ومــن اللفتات الجمالية للّفظ أنه قائم على الاستعارة أو الكناية قــال أبــو حيان : (وهي **استعارة** للذي يرتطم في غيّه كأنه منكوس على رأسه ، وهــي أقبح هيئة للإنسان فكأنه عقله منكوس أي مقلوب لانقلاب شكله جعل أعلاه أسفله ، فرجوعهم إلى أنفسهم كناية عن استقامة فكرهم ، ونكسهم **كناية** عن مجادلتهم ومكابرتهم ، ويحتمل أن يكون نكسوا على رؤوسهم كناية عن تطــأطؤ رؤوسهم وتنكيسها إلى الأرض على سبيل الخجل والانكسار ، مما بهتهم به إبراهيم من قول الحق ودفعهم به فلم يطيقوا جوابــًا) (٢) .

كذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ بلى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكم **عالمِ** الغيبِ﴾ (٣)

(قــرأ حمــزة والكسائي " علاّم الغيب " **للمبالغة** ، ونافع وابن عمر ورويس " عالم الغيب ") (٤) .

فَضمّن السياق بالإضافة إلى أسلوب القسم (٥) وتأكيداته ــ عن طريق الــتغاير القرائــي ــ إضــافة دلالة "بنية المبالغة" { علاّم } التي تشــي بمــدى تحقق الوقوع واليقين بأن الساعة واقعــة لا محالة إذ المعنى : أقسم بالله العظيم لتأتينكم الساعة ــ لا مفر ــ لأن ذلك من علم العليم ، بل مــن

---

(١) انظر الكشاف ٣ / ١٥ .

(٢) البحر المحيط ٦ / ٣٠٣ .

(٣) سبأ / ٣ .

(٤) البيضاوي ٢ / ٢٥٥ ، وانظر البحر المحيط ٧ / ٢٤٨ ، والقرطبي ٨ / ٥٥٢٩ ، قال الصاوي على الجلاليــن : (" بلــى وربــي لتأتيــنكم عالم الغيب " بالجر صفة والرفع خبر مبتدأ وعلاّم بالجر " فالقرآت الثلاث سبعيات وجهان في صيغة اسم الفاعل ووجه" واحد" في صيغة **المبالغة**) الصاوي على الجلالين ٣ / ٢٤٢ .

(٥) في سياقات القرآن كله ثمّة سياقات ثلاثة أمر الله ــ عز وجل ــ فيها رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أن يقســم بــربه العظيم على وقوعها هذه إحداها والثانية قوله تعالى : " قل إي وربي إنه لحق " يونس/ ٥٣ والثالثة قوله تعالى : " قل بلى وربي لتبعثن " التغابن/ ٧ .

عند علاّم الغيوب ـ سبحانه ، فأنّى يتخلّفون عنها ، أو يُشكُّ في وقوعها طرفة عين .

ومنه قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ (١)

(عبس يَعْبِسُ عَبسًا وعبَّس : قطّب ما بين عينيه .. عبَّس تعبيسًا ، فهو مُعبِّس وعبَّاس إذا كرَّه وجهه ، شُدِّد **للمبالغة**) (٢) .

قال أبو السعود : (وقرئ { عبَّس } بالتشديد **للمبالغة**) (٣) .

ودلالة (عبس) في السياق القرآني سواء بالتشديد ام بالتخفيف فيها بيان'' أنه صلّى الله عليه وسلم عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه (قال ابن عطية في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العُتب ؛ لأن في ذلك بعض الإعراض ، وقال الزمخشري في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار ، وقال غيرهما هو إكرام'' للنبي صلى الله عليه وسلم وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب وهذا **أحسن**) (٤) ولعل هذا التأويل الأخير للسياق القرآني هو الألصق بالدلالة في مخاطبته صلى الله عليه وسلم بلفظ " الغائب " تكرمًا ، وهنا يعفينا هذا " الفهم " من تفسير تشديد البنية " عبَّس " للمبالغة فالصياغة اللفظية وإن حوت الشدة في العبوس ، فقد جاء السياق الخطابي الأدبي في القرآن ليحوي دلالاتٍ أخرى من الإكرام لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فما حواه اللفظ من شحنات التقطيب وشدته خففه السياق القرآني في خطابه بروعته وإعجازه .

---

(١) عبس/ ١ .

(٢) لسان العرب ٤ / ٢٧٨٤ .

(٣) أبو السعود ٩ / ١٠٧ ، وسبب نزول صدر هذه السورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حريصًا على إسلام قريش وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليُسلموا فيسلم بإسلامهم خلق''كثير فبينما هو مع رجلٍ من عظمائهم قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل عتبة بن ربيعة وقيل أمية بن خلف ، وقال ابن عباس كانوا جماعة إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله ، وكرر ذلك وهو لا يعلم عنه بتشاغله بالقوم فكره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قطع الأعمى كلامه فعبس وأعرض عنه وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزلت الآية فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم بعد ذلك يقول مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه وقد استخلفه على المدينة مرتين انظر التسهيل ٤ / ١٧٨ .

(٤) التسهيل ٤ / ١٧٨ .

obeikandl.com

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هذا لشيءٌ عُجاب ﴾ [١]

قال الزمخشري : { أي بليغ في العجب وقرئ عُجَّاب بالتشديد كقوله تعالى : ﴿ مكرًا كُبَّـارًا ﴾ وهو أبلغ من المخفف } [٢].

هــذه المــبالغة من قِبل المشركين الذين تعجبوا غاية العجب من ترك الشــرك بالله إذ إن قلوبهم قد أشربت عبادة الأوثان التي تلقوها عن آبائهم ، فلمــا دعاهم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى عبادة الله الواحد قالوا في عجــب : ﴿ أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عُجاب ﴾ فأولى لهم أنَّى يُصرفون .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكم ﴾ [٣]

قرأ عليٌّ ــ رضى الله عنه ــ " ولا تقتـلوا " بالتشديد [٤] مبالغة في الزجر أضف إلى ذلك ما حواه السياق من مبالغة أخرى كما قال الألوســي : " أي لا يقــتل بعضكم بعضًا ، وعبَّر عن البعض المنهي عن قتلهم بالأنفس للمبالغة في الزجر " [٥].

القسم الثاني : القراءة التي تابعت قراءة " حفص " في بنية " المبالغة " وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَقْرِضُوا الله قَرْضًا حَسَنًا يُضاعِفه لكم ﴾ [٦]

ذِكْرُ " القرض " تَلـطُّف في الاستدعاء وذلك بصرف المــــال في

---

(١) ص/ ٥ .

(٢) الكشــاف ٣ / ٣١٧ ، قــال الفرَّاء : هو مثل قولهم : رجل كريم وكُرام وكُرَّام وكبير وكُبَار وكُبَّار و عُجَّاب بالتشديد أكثر من عُجاب . انظر لسان العرب مادة (ع . ج . ب) .

(٣) النساء/ ٢٩ .

(٤) انظر الكشاف ١ / ٢٦٤ .

(٥) روح المعاني ٥ / ١٦ .

(٦) التغابــن/ ١٧ ، (قال تعالى : " وأقرضوا الله قرضًا حسنًا " ويقال : اقرضتُ فلانًا ، وهو ما تعطيه ليقضيكه . وكل أمر يتجازى به الناس فيما بينهم ، فهو من القروض .. وقال أبو إسحق النحوي في قوله تعالــى : " من ذا الذي يُقرضُ الله قرضًا حسنًا " البقرة ٢٤٥ قال معنى القرض البلاء الحسن ، تقــول العــربُ : لــك عندي قرضٌ حسن ، وقرضٌ سيِّئ ، وأصل القرض ما يُعطيه الرجل أو يفعلــه لــيُجَازَى علــيه ؛ والله عز وجل لا يستقرض من عَوَز ولكنه يبلو عباده) لسان العرب ٥ / ٣٥٨٩ .

مصارفه الشرعية التي حدَّدها الشرع وقوله ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُم﴾ وفي قراءة " يُضَعِّفه " (١) بالتشديد أي بالواحدة عشر ، إلى سبعمائة ، وفي لفظ المضاعفة تأكيد للبذل لوجه الله تعالى (٢).

ومن اللفتات الجمالية في السياق وصف القرض " بالحسن " فيه دلالة'' بكونه خالصًا طيبًا من حلال من غير منٍّ ولا أذى ، وإعطاؤه عن طيب نفس ، وبَيِّن'' أن " القراءتين " بألف المطاوعة " و " التشديد " قد أدتا الدلالة نفسها في مضاعفة أجر الله ــ عز وجل ــ للمتصدقين وأنه سبحانه جواد'' كريم'' منَّان ، يُثيب على العمل الزهيد الثواب الجزيل ، ويعطي على القليل الأجر العظيم ما استقامت النية ، وخَلُصت الطوية .

---

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب " يُضَعِّفه " مشددة بغير ألف . انظر السبعة في القراءات / ٦٣٨ والبيضاوي ٢ / ٥٠٠ .

(٢) انظر الكشاف ٤ / ١٠٧ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٧٦ والصاوي على الجلالين ٤ / ١٨٠ .

obeikandl.com